مغامرات المحقق

شريف هدهد

.. موت نادر..



الكتــــاب :مغامرات المحقق شريف هدهد

المـــؤلـــف :يحيى عبد القادر

تـدقيـق لغـوي: عمر جوبا

تنسيـق داخلي : سمر محمد

الطبعة الأولى: ينــايــر 2019

رقــم الإيــداع : 27093/2018

978-977-6542-13-6 : I.S.B.N

المدير العام:محمد شوقي مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس

00201150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

عصير الكتب للنشر والتوزيع

مغامرات المحقق

رواية



.. موت نادر..

يحيى عبد القادر





إهداء

الحمد لله وحده على نعمه اللانهائية، أهدي هذه الرواية والمجموعة القادمة:

إلى كل أم مقاتلة كانت وأصبحت عونًا لكل طفل قد أنعم الله عليه بالتوحد ليجعله فريدًا في هذا العالم الموحش الذي ينظر لطفل التوحد نظرة مختلفة سواءً كانت معاملته طيبة أو خبيثة.

إلى كل من يظن أن التوحد مرض، انظر إلى عقلك المريض أولًا قبل أن تنتقد عقل من هو أفضل منك.

إلى كلِّ مجتمع لا يتعاون في الاهتمام بالتوحد، مرحبًا بكم في جحيم الدنيا والآخرة، التخلي عن العقل والعبقرية التي يحملها أطفال التوحد تجعل المجتمع في أسفل القاع، أما القمة ترحب بمن اهتم بهم.



ثلاثة نجوم

انتظر العالم بأجمعه هذه اللحظة، ظهرت العديد من التنبؤات والنظريات حتى اعتقد البعض أنها نهاية العالم، لكن رغم المخاوف كانت البشرية بأجمعها تحتفل بقدوم اللحظة التي لم يرها العصر الحديث، منتظرين دقات الساعة الثانية عشرة لتبدأ الألفية الثالثة. لم تقتصر الاحتفالات على الأمريكيتين وأوروبا وآسيا، بل كان الاستعداد للألفية الجديدة مميزًا تحت سفح أهرامات الجيزة وجميع أرجاء القاهرة التي لا تنام، يحتفل الشباب في الملاهي الليلية والمقاهي والكنائس، حتى كبار السن ساهرين أمام شاشات التلفاز متمثلين بين قنوات العالم لمشاهدة احتفالات الألفية الثالثة على مستوى العالم.

رغم ازدحام العديد من شوارع مصر في تلك الليلة إلا أن بعضها كانت خاوية، بالأخص طريق المقطم الخالي من

أعمدة الإنارة وكأنَّ السماء السوداء المجردة من ضوء القمر هبطت على الأرض، لا يوجد مجال لرؤية صخور هضبة المقطم و المرتفعات الموجودة على يسار الطريق أو حتى منحدر الموت الموجود على يمين الطريق، فهو طريق الموت لا محالة، يكاد الطريق يخلو من الهواء خوفًا من ظلامه.

٣١-١٢-١٩٩٩ في تمام الساعة الحادية عشرة وخمس وخمسين دقيقة، ينطلق (هشام هدهد) بسيارته اللانسر موديل ٩٨ بسرعة جنونية هربًا من السيارة السوداء التي تطارده، يتمايل (هشام) بسيارته يمينًا ويسارًا لإحباط كل محاولات السيارة المجهولة من اللحاق به، رغم العرق المنهمر من جبهته إلا أن قبضتيه لم تستطع ترك عجلة القيادة ولو للحظة، لم يكن (هشام) سائق محترف، لكن الخوف من الموت أظهر كل مهاراته في القيادة من أجل البقاء على قيد الحياة.

رغم إحساسه بأصابع الموت تلامسه إلا أن ما كان يقتل هذا الشعور المخيف هو الخوف الأكبر على (شريف) الجالس في المقعد الخلفي للسيارة، ابنه الوحيد في السابعة من عمره، الصارخ دون توقف من قيادة والده المتهورة التي أشعرته بالرعب الصارخ، إصابته بمرض التوحد لم تجعله يدرك الخطر الذي يهرب منه الأب، لم يجعله يشعر بمعاناة هروب (هشام) من الموت، لم يكن بمقدرة قلب (شريف) أن يكره

والده، الشخص الباقي له في الحياة بعد موت والدته، لكن سرعة السيارة المخيفة جعلته مستمر في الصراخ دون توقف.

هشام: اهدأ يا شريف... لا تخف يا عزيزي.

لم تجدِ محاولات (هشام) بصوته الخافت في امتصاص خوف ابنه، حيث شعر (شريف) بذبذبات من التوتر مموجة بصوت والده، يستمر (شريف) في الصراخ بينما ينصب تركيز (هشام) على السيارة السوداء، لم يتوقف (هشام) عن التصدي والتمايل يمينًا ويسارًا محاولاً غلق المجال على السيارة السوداء حتى لا تتجاوزه، لكن ما زال جزء من عقل (هشام) مشغولاً بصراخ (شريف)، وكان على ثقة أن من حق ولده الخوف والصراخ، ليحاول البحث داخل ذاكرته عن وسيلة لتهدئته، حتى ينصب تركيزه بالكامل على الهرب من السيارة السوداء.

هشام: شريف.. عزيزي، لنبدأ لعبة الأرقام، فلتبدأ بإخباري بجدول الضرب بداية من رقم ٢١٥.

شريف: ٢١٥×١=٢١٥، ٢١٥×٢=٤٣٠، ٢١٥×٣= ٦٤٥،...

على الرغم من إسراع (هشام) أكثر بسيارته، إلا أن اللعبة استطاعت احتواء خوف (شريف) قليلاً، حيث بدأت الصرخات تهدأ شيئًا فشيئًا، الهدوء الذي أصاب (هشام) أيضًا ليشعر بالرضا والسعادة بعض الشيء لإزالة الخوف من

قلب ابنه، لينظر إلى المرآة ليتأمل وجه ابنه الصغير المليء بالدموع التي بدأت تجف قليلًا ، تمنى (هشام) في هذه اللحظة أن تتلاقى عيناه مع عين ابنه، كان على يقين بأن أعراض حالة (شريف) لا تجعله يتواصل مع أحد بسهولة، حتى مع والده، رغم حبه الشديد لابنه لكنه لم يشعر بحب الابن لأبيه، أو نظرة السعادة على وجه الطفل عند قدوم والده إلى المنزل حتى أنه لم يشعر بدفء حضن ولده منذ سنوات.

شريف: ٥٢٣×٨٨= ١٧٨٤ ، ٥٢٣×٩=٢٠٠٧، ٥...

اختلطت دموع (هشام) مع العرق المتصبب من وجهه، لتفقده التركيز للحظات معدودة لكنها فارقة، لتتجاوزه السيارة السوداء لتصطدم به من الجانب الأيمن للسيارة، الأمر الذي جعل رد فعل (هشام) الانحراف بسيارته نحو اليسار لينحرف خارج الطريق لتحضن السيارة الصخور المخبأة في الظلام وتنقلب السيارة رأسًا على عقب، ويظهر النور أخيرًا في هذا الطريق المظلم من احتكاك سقف السيارة بالطريق لعدة أمتار ليسود الظلام من جديد بعد توقف السيارة، لكن صرخات (شريف) ملأت الطريق بأكمله دون توقف، لا أحد غيره يعلم سبب صراخه المستمر، بالتأكيد بسبب انقلاب السيارة، لكن ربما من حزام الأمان المنقذ لحياته، لكن جلوسه على المقعد سبب في جعل الصورة التي تمر من خلال عينه إلى عقله مقلوبة ليصاب بحالة ذعر، من الجائز أن الظلام والوحدة

تصيب أي شخص في كامل صحته بالخوف، الأمر الذي اضطره بالبحث بعينيه في كل مكان على شخص ينقذه.

تهدأ الصرخات قليلاً عندما تجد عيناه وجه أبيه الممدد داخل السيارة دون حراك والدماء تغطي وجهه، مسح عقل (شريف) كل الشوائب التي تعيق الصورة التي يراها لأبيه من زجاج مدمر والدماء التي تملؤه لمجرد إدخال الطمأنينة في قلبه حتى ولو لبعض الوقت، لتتلاقى عين (شريف) بعين (هشام) أخيرًا للحظات، النظرة التي كان يتمناها (هشام) حصل عليها أخيرًا قبل أن يغمض عينيه دون رجعة. لم يتوقف (شريف) عن النظر إلى والده الذي فارق الحياة، أخذ يراقب شهيقه الذي توقف وعينيه المغمضة، حتى شعر والده المتمايل مع نسيم الهواء. لم تجف دموع (شريف) منذ انقلاب السيارة، هو وحده بعد الله أعلم سبب دموعه، أهي بسبب الخوف مما حدث، أم بسبب الفراق، أيمكن أن تكون بسبب الوحدة التي سيعاني منها مستقبلاً. تبدأ الصرخات في الانطلاق بسرعة الصاروخ وبصوت تكاد القاهرة تسمعه لحظة دخول ذراع الشخص صاحب السيارة السوداء إلى داخل سيارة (هشام) بالأخص من النافذة المكسورة بجانب (شريف)، محاولاً الإمساك بالطفل الصغير، لكن صراخ (شريف) ومقاومته لليد صاحبة الوشم المرسوم على شكل ثلاثة نجوم كان أقوى، لم يستمر الصراع طويلاً، فتنسحب اليد وصاحبها خارج السيارة بمجرد سماع صوت صافرة النجدة تقترب من مكان

الحادث، فيقفز المجهول داخل سيارته السوداء وينطلق بها بعيدًا، في اللحظة التي يظهر الضوء صافرة الشرطة الأزرق بصوته المزعج من السيارة المحطمة، ليخرج أحد أفراد الشرطة من سيارتهم متجهين إلى نافذة (شريف) المحطمة محاولين إخراجه من السيارة لإنقاذه، لكن رفض (شريف) من خلال مقاومته كان أقوى بكثير، الأمر الذي جعل فرد الشرطة يستعين بصديقه للدخول إلى السيارة والإمساك بالطفل المذعور لإخراجه سالمًا من الحادث، لكن لم يترك فرد الأمن الطفل الذي أصيب بنوبة ذعر، وأخذ (شريف) يصرخ ويتحرك بغرابة بالنسبة للشرطي محاولاً تهدئته دون نتيجة، أثناء دخول زميله مرة أخرى إلى السيارة محاولاً إنقاذ قائدها ظنًا منه بأنه على قيد الحياة. ليغرز (شريف) أسنانه في ذراع الشرطي ويضطر الشرطي لإطلاق سراح الطفل. على الرغم من الألم الذي شعر به الشرطي إلا أنه لم يتوقف عن الركض خلف الطفل الصغير الهارب منه الراكض بعيدًا عن الحادث الواضع يديه على أذنه هربًا من ضجيج صافرة النجدة، تحمل الشرطي الألم لينقذ هذا الطفل مغمض العينين دون سبب واضح والمتجه ركضًا نحو منحدر الموت.

انتهى الوقت

يفتح (شريف) عينيه بعد ثوانٍ من دقات جرس المنبه مستيقظًا من نومه دون الإحساس بتعب أو ملامح حزن من الحلم الذي راوده والذكرى الأليمة التي رآها في منامه، لكنها لم تعد تؤثر في سلوكه أو رد فعله، فقد مضى ثمانية عشر عامًا على وفاة والده، نجح الزمن أن يضمد جراح قلبه لكن عقله الخارق يتذكر كل تفاصيل الحادث وكأنَّه حدث من ساعة واحدة فقط. نهض (شريف) في نشاط من على فراشه الموجود في صالة الشقة الفارغة من الأثاث تمامًا، فيما عدا احتياجات (شريف) الأساسية مثل خزينة ملابسه الصغيرة الموجود على يسار فراشه ومن أمامه طاولة صغيرة الحجم موضوع عليها شاشة التلفاز ذي العشرين بوصة، أما على اليمين اللاب توب الموضوع على مكتبه الصغير باللون الأبيض ،الذي اشتراه من (أيكيا) وقام بتركيبه بنفسه كما فعل بالفراش وخزينة ملابسه، رغم تصميم الأثاث العصري الخاص به إلا

أنه غير متوافق مع تصميم الشقة الكلاسيكي بورق الحائط المستورد من إيطاليا منذ أربعينات القرن الماضي، والأرضيات الخشبية، والأبواب الخشبية المطعمة بالزجاج القديم، لكن مع قلة قطع الأثاث جعل الصالة المتوسطة المساحة وكأنها ضخمة.

ينهض (شريف) في حيوية ونشاط ليبدأ بتمارين صباحية لزيادة نشاط الجسم، بدءًا بالوثب والإحماءات والضغط نهاية بتمرين البطن دون تعب أو حتى ظهور أي علامات إرهاق على وجهه المبتسم دائمًا، لتنتهي التمارين بانطلاق صوت جرس المنبه الصغير القديم الذي لا يفارقه طوال تواجده داخل المنزل، الذي تم ضبطه خصيصًا لتمارين الصباح. يتوجه (شريف) نحو النافذة لفتح الستائر عشرة سنتيمترات لا أكثر من الجهة اليمنى للنافذة حيث أنها المسافة التي تم حسابها بدقة لإدخال أشعة الشمس بشكل كافٍ إلى الشقة، ليأخذ (شريف) كتاب (تاريخ علم الفلك في حضارة المصريين القدماء) الموضوع بجانب التلفاز ليدخل به إلى إحدى الغرفتين الموجودتين بالشقة، ليفتح الغرفة الخالية من الأثاث تمامًا لكنها مليئة بعشرات الأرفف الخشبية الموضوع على الحوائط الأربعة، المليئة بآلاف الكتب، أما أرضية الغرفة موضوع عليها الأرفف أفقيًا لتملأها الكتب أيضًا، يسير (شريف) في الممرات الموجودة بين الأرفف فقط، متجهًا لوضع الكتاب في مكانه، ثم يمسك القماشة ليبدأ بتنظيف الأرفف والكتب وإزالة الأتربة من الغرفة تمامًا، ليخرج من الغرفة الأولى متجهًا إلى الغرفة

الثانية والأخيرة والمشابهة تمامًا للغرفة الأولى مع اختلاف الكتب ليقوم بتنظيفها مثل الأولى، متوجهًا إلى الرفِّ التاسع والخمسين لإحضار كتاب (النظرية الذرية ووصف الطبيعة) لقراءته للمرة الثانية، لينتهي وقت التنظيف وينطلق جرس المنبه للمرة الثالثة.

يستكمل (شريف) نظامه اليومي الدقيق للاستحمام وتنظيف كل جزء بجسده حتى تحت أظافره وخلف أذنيه، بعد انتهائه يقوم بتجفيف جسده بدقة متناهية باحثًا عن أي قطرة ماء على جلده للقبض عليها، بعد الانتهاء يقوم بتنظيف أسنانه بالفرشاة بهدوء لكنه يتوقف فجأة فور انطلاق جرس المنبه مرة أخرى، ليقوم بغسل فمه جيدًا والانطلاق خارج الحمام واقفًا أمام خزانته ليرتدي ملابسه المهندمة بعناية شديدة. ليلتقط فرشاة الشعر ماشطًا شعره ناظرًا إلى المرآة الموجودة بداخل خزانته، وقبل غلق خزانته يأخذ ورقة موضوعة بالداخل ليطويها وضعها في جيبه، ثم يلتقط شنطة اللاب توب من الأسفل ويغلق الخزانة ليضع بها اللاب توب وكتابه.

بعد انطلاق الجرس الخامس يدخل (شريف) إلى المطبخ الغاية في النظافة والنظام ليلتقط من إحدى الأرفف علبة رقائق القمح، ليضع بعضها في الطبق الأصفر اللون ثم يخرج علبة اللبن ليتأكد من تاريخ صلاحيته مثل كل صباح ثم يسكب

بعضه على رقائق القمح، ليلتقط الطبق بعد ذلك واضعًا إيَّاه في المايكرويف ليضبط توقيت انتهاء تسخين فطوره بعد دقيقة وعشر ثوانٍ بالتحديد، أثناء ذلك يعود مرة أخرى إلى الثلاجة واضعًا اللبن مكانه مرة أخرى ثم يخرج من الثلاجة شطيرة الجبنة المحفوظة في اللفافة الورقية واضعًا إيّاها في العلبة البلاستيكية الموضوع بصفة دائمة بجانب الثلاجة، ثم يضع تفاحة وعصير البرتقال، ليحكم غلق العلبة ليخرج واضعًا إيّاها في الجيب الأمامي لحقيبة اللاب توب، متوجهّا مرة أخرى إلى المطبخ بعد سماع صوت صافرة الميكروويف، ليخرج فطوره متوجهًا إلى مكتبه في الصالة، ليبدأ تناول فطوره في هدوء وتركيز شديد في كل حركة يقوم بها، حيث يقوم بمضغ طعامه واحدًا وعشرين مرة لإحكام هضمه وما يقرب من اثنتين وعشرين ثانية بين كل ملعقة والأخرى، بعد الانتهاء من فطوره يعود إلى المطبخ لتنظيف طبقه وملعقته وتجفيفهما بدقة. يخرج (شريف) من المطبخ ليتوقف أمام باب الشقة دون حراك، يده اليمنى تعصر اليسرى، ينظر إلى الأعلى في كل الاتجاهات منتظرًا ما هو قادم.

لتبدأ علامات التوتر تزداد قليلًا بعد أن سمع من يطرق باب شقته من الخارج ثلاث طرقات لا أكثر، لينظر من خلال الثقب فلا يجد أحدًا بالخارج، فسرعان ما يذهب التوتر ويقوم بفتح الباب حيث يتأكد أن (مسعد) عامل التوصيل قد أتم مهمته ورحل كما هو متفق عليه، فالصحف والجرائد قد

وصلت إليه أخيرًا، ليلتقطها (شريف) ويدخل إلى شقته مرة أخرى عائدًا إلى مكتبه ليبدأ في قراءة جميع جرائد اليوم، ليس بأمر صعب على (شريف) قراءة هذا الكم من الصحف، حيث أنه يملك القدرة على قراءة الصفحة الواحدة في خمس ثوانٍ فقط، فيستطيع معرفة كل ما يحدث في العالم في دقائق معدودة.

لكن اليوم كان مختلفًا عن ذي قبل، فقد توقفت عيناه على الصفحة الأولى بجريدة (نهار مصر) بالتحديد في النصف السفلي للصحيفة، بالأخص خبر وفاة الكاتب الكبير (نادر شوقي) فور أزمة قلبية خلال حفل توقيع روايته الأخيرة (عشاء الموت)، لكن لم تكن الكلمات المنشورة هي ما أثار انتباهه، إنما آخر صورة تم التقاطها للكاتب الراحل، نظر إليها بتعمّقٍ حتى أنه لم ينتبه لصوت صافرة المنبه التي تؤهله للرحيل، لكن سرعان ما عاد للواقع مرة أخرى ليقوم بإطفاء المنبه، وترتيب الصحف بعناية، ليخرج من درج المكتب محفظته والهاتف المحمول ومفاتيح الشقة، ثم يضع الحقيبة على كتفيه متجهًا إلى باب الشقة بخطوات طفل صغير ذاهب إلى مدرسته، فيفتح باب شقته ليخرج من عالمه الخاص إلى العالم المرير.

* * *



أربع خطوات

تنثر الشمس أشعتها على شوارع القاهرة بالأخص شارع شوكت، رغم أن عرضه لا يتعدى الثمانية أمتار إلا أنه قد جرت العادة للسيارات على استخدامه في كلا الاتجاهين بسرعات غير اعتيادية رغم أنه ليس من الشوارع الرئيسية، غير مكترثين لقوانين المرور أو الحقوق البشرية، لكن تصميم الشارع الذي أنشئ في منتصف القرن الماضي أنقذ المشاة بعمل أرصفة عريضة على يمين ويسار الشارع حتى ينجو الناسُ من السيارات المتهورة، لكن لم ينجُ المشاة من السير وسط الكراسي والطاولات المنتشرة على الرصيف المتواجد على يسار الشارع المملوكة للحاج (مدبولي) صاحب المقهى والصوت العالي المزعج حتى للأستاذ (غريب) الجالس بجانبه مستمع إليه مضطرًا وغير مستمع لكلام (مدبولي) عن تحليله لمباراة كرة القدم التي أقيمت منذ أكثر من أسبوع، لكنها فرصة لـ(غريب) لطلب ما يريد من مشروبات مجانًا

من (مدحت) صبي القهوة الذي لم ينم منذ أيام مضطرًا من أجل المال لإعالة عائلته، راضيًا بالإهانة والمعاملة السيئة من صاحب المقهى.

يخرج (شريف) من العمارة رقم سبعة الموجودة على يمين شارع (شوكت) والمقابلة لمقهى الحاج (مدبولي)، ليبدأ (شريف) التحرك على الرصيف في اللحظة الذي يخرج (مدحت) وفي يده الدلو المليء بالماء ليقوم بعادته اليومية برش قطرات الماء على الرصيف والشارع دون سبب ولكنها عادة، لكن على غير العادة علامات الغضب التي تظهر على وجه (مدحت) كلمات السخرية التي تنطلق من لسان (مدبولي) كالرصاص، لكن الحاجة للمال أقوى من كرامة الإنسان.

في لحظة طبيعية تحدث يوميًا في هذا الشارع حيث تسير سيارة نقل بيضاء اللون في الجزء الأيسر من الشارع، قادمة من الشمال متجهة جنوبًا، وتتحرك سيارة زرقاء اللون في الجزء الأيمن من الشارع متجهة شمالاً، لكن هذه اللحظة لم تكن طبيعية، حيث يقوم (مدحت) بإلقاء الماء كله على الرصيف في اللحظة الذي ينظر (مدحت) إلى (مدبولي) دون النظر إلى اتجاه الماء.

يبدأ عقل (شريف) بتحليل كل ما حوله بسرعة فائقة وكأنَّ كل شيء حوله يسير ببطء يتحدث إلى نفسه بهدوء وسرعة فائقة يلاحظ (شريف) الهالات السوداء الموجودة أسفل عين

(مدحت) ونظرات الغضب الذي ينظر بها إلى يمينه في اتجاه الحاج (مدبولي)، بينما كان (مدحت) يرمي ما تبقى من الماء الموجودة في الدلو على الرصيف دون أن ينظر إلى الشخص القادم من على يسار (مدحت) والذي كان يتحدث في الهاتف.

شريف: مزاج (مدبولي) ليس على ما يرام نتيجة عراكه مع زوجته، يسخر من (مدحت) الذي يبدو في حالة غضب من (مدبولي)، ليقوم (مدحت) بإفراغ شحنة غضبه في إلقاء الماء الموجود بالدلو سعة الجردل ٨,٨٣٧ سم٣، حالة تشتيت من (مدبولي)، سيقوم بإلقاء الماء في الشارع دون النظر إلى الشخص المتحدث في هاتفه، اسم مؤقت لصاحب الموبايل س، سرعة=٦,٤م/ث، زاوية/٣٠، د=٣م/ث٢، زمن الوصول للهدف س٢(٦,٤جا٣٠/٣)=٢,١٣ثانية، المدى الأفقي=(٦,٤)٢×جا٢ ٣٠/٣=٣,٤١متر، ردف فعل س القفز إلى يساره إلى٩٧سم، عند حرف الرصيف المكسور، النتيجة سقوط في الشارع أمام سيارة النقل ص، السائق في حالة انتباه، سرعة العربية ٣٠كم، انحراف في السيارة ١٠درجات لليسار، إطارات متهالكة وغير صالحة للتوقف في الوقت المناسب، احتمالية استخدام المكابح معدومة، رد فعل ص الانحراف لليسار ٤٨ درجة لتفادي س، ص سيكون على نفس خط سيارة ع، صاحب السيارة ص غير منتبه للطريق، متوتر وعلى عجلة من أمره، سرعة السيارة ٥٥ كم، إطارات جديدة، احتمالية استخدام المكابح معدومة، المسافة بين

السيارتين ١٦,٨، زمن الحادثة بعد١٦,٨/٣٠+٥٥=٠,١٩ دقيقة، رد الفعل هو انحراف السيارة ع عن الطريق لليمين بزاوية ٤٨ درجة، مما يؤدي إلى سير السيارة على الرصيف في النقطة ك، التي سوف تكون...هنا، أربع خطوات للخلف لتجنب الموت.

كانت العملية الحسابية السريعة التي قام بها (شريف) داخل عقلة دقيقة بشكل غير اعتيادي، حيث كانت قوة دفع المياه الخارجة من الدلو ومدى اندفاعها والنقطة الذي سيتحرك إليها صاحب الهاتف ليتفادى المياه، حيث كانت هذه النقطة هي الجزء المكسور من الرصيف لينزلق صاحب الهاتف ويقع في الشارع أمام سيارة النقل المتجهة جنوبًا، ليلاحظ (شريف) مدى انتباه سائق النقل للطريق ومدى سوء جودة الإطارات التي لن تساعد سائق النقل في توقف السيارة في الوقت المناسب، مما يجعل السائق مضطرًا إلى الانحراف إلى يمين الشارع لتفادي صاحب الموبايل الواقع على الأرض، فتتقابل سيارة النقل البيضاء وجهًا لوجه مع السيارة الملاكي الزرقاء المتجهة شمالًا، حيث لاحظ (شريف) وجه سائق السيارة الزرقاء المجهد والنظر إلى ساعته بالإضافة إلى السرعة الزائدة التي توضح بأن سائق السيارة الزرقاء في عجلة من أمره، في هذه اللحظة يتراجع (شريف) أربع خطوات إلى الخلف، حيث اضطر سائق السيارة الزرقاء للانحراف عن الطريق ليصعد على الرصيف بسيارته في المكان الذي كان (شريف) واقفًا فيه قبل ثوانٍ.

تعود السيارة النقل إلى مسارها وتسير مسرعة جنوبًا هربًا من موقع الحادث، بينما يخرج صاحب السيارة الزرقاء من سيارته في حالة غضب شديد والذي لم يتوقف عن السباب لصاحب السيارة الهاربة، يسرع (مدحت) لمساعدة الشخص صاحب الهاتف، بينما يقف (مدبولي) مذهولًا من الحادثة فيتوجه ومعه (غريب) مسرعين في اتجاه (شريف) للاطمئنان عليه.

مدبولي: هل أنت بخير يا بني؟

شريف: أنا بخير.

غريب: هل أحضر لك القليل من الماء؟

يتعجب (غريب) من تجاهل (شريف) لسؤاله.

غريب: هل أحضر لك قليلًا من الماء أو...

مدبولي: هل تحتاج إلى شيء يا بني أخبر...

يسير (شريف) على الرصيف في هدوء تاركًا (مدبولي) و(غريب) دون حتى إلقاء التحية، غير ناظر إلى السيارة الموجودة على الرصيف التي كادت أن تدهسه.

غريب: ما خطب هذا الفتى؟

مدبولي: إنه فتى طيب القلب، قام تأجير شقة الأستاذ (محسن النجار) منذ سنوات ويعيش وحيدًا بعد أن فقد والديه، لكن عقله صغير كالطفل وغير سوي، اللهم باعد بيننا وبين مرضه.

غريب: آمين.



عم سلامة

لا يوجد مثل هذا المكان للسفر بالذهن إلى العوالم المختلفة سواءً العالم الرومانسي أو الكوميدي أو العلمي أو حتى عالم الجريمة، فكل كتاب داخل مكتبة عم (سلامة) قيّم ومفيد، وعلى الرغم من صغر مساحة المكتبة إلا أنَّ الكتب التي تعيش بداخلها تجعلها قلعة زمنيّة للمعرفة، بعض الزائرين لا يكتفون بالكتب القديمة بل برائحة الورق العتيقة الممزوجة بخليط من الجدران الحجرية القديمة للمكتبة ورائحة القهوة التي يعدها عم (سلامة) بنفسه، كما اشتهرت المكتبة بشدة في الوسط الأدبي في الوطن العربي بعد زيارة (باولو كويلو) شخصيًا إلى مكتبة عم (سلامة) في عام ٢٠٠٥، ويفتخر (سلامة) بذلك حتى أنه خصص حائطًا كاملًا لصوره مع المشاهير الزائرين لمكتبته المتواضعة، لذلك بعض الناس يعتبرونها مزارًا سياحيًا.

رغم الشهرة العالمية للمكتبة القديمة، ورغم حب (سلامة) لـ (شريف) غير المعلوم سببه لكن عندما يأتي

اللقاء الأسبوعي بينهما يخرج (سلامة) من قلعته إلى الخارج ليرحب بـ(شريف) الذي لم يدخل إلى المكتبة قط ، بل يكتفي بإلقاء نظرة على الكتب من خلال النافذة الزجاجية. يستمع (شريف) إلى سعال (سلامة) غير المتوقف، حتى يصل (سلامة) إليه مبتسمًا ابتسامة طفل صغير على وجه عجوز.

سلامة: ألم يحن الوقت للدخول إلى مكتبتي المتواضعة يا صديقي الصغير؟

يبدأ السعال في مهاجمة (سلامة) مرة أخرى لثوانٍ بسيطة، في هذه الثواني (شريف) يدقق النظر لبعض التفاصيل على (سلامة)، علامات القهوة التي ما زالت على فمه، اصفرار أعلى صابع السبابة اليمنى من السجائر، لون اللسان الأزرق الذي يدل على إصابته بأحد أمراض القلب أو الجهاز التنفسي، بعض شعيرات قطة من نوع باست الرمادية من الشارع على سراويله، فتات الفلافل الموجود على قميصه، الطين الموجود على الحذاء ما زال رطبًا والذي يدل على أنه قام بفتح المكتبة منذ دقائق، ليتحدث (شريف) إلى نفسه.

شريف: النتيجة النهائية، تناول عم (سلامة) قطعة أو قطعتين من الفلافل المغطاة بالسمسم، ثم ذهب ليحتسي القهوة في المقهى المتواجد في الشارع الخلفي للمكتبة حيث يتميز الشارع بأرضيته الطينية صباحًا، أقل تقدير حسابي تم تدخين سيجارتين أثناء شرب القهوة، أما بالنسبة للقطة فكانت تحت أقدامه منتظرة فتات الطعام.

يعود (شريف) إلى أرض الواقع قبل أن ينتهي (سلامة) من السعال.

شريف: رقم ١ من تعليمات محمود، الامتناع عن التدخين وشرب القهوة.

توقف (سلامة) عن السعال أخيرًا لينظر متعجبًا إلى (شريف) الذي لم يكن يتواصل بعينيه مع أحد قط.

سلامة: نعم؟

شريف: لقد سمعت تعليمات ابنك، الدكتور محمود، وهى التوقف عن التدخين وشرب القهوة.

تذكر (سلامة) التعليمات بالفعل وتحولت ابتسامة الطفل إلى ابتسامة العجز.

سلامة: لقد كبرت يا بني، حان الوقت لأفعل ما أريده وما يجعلني سعيدًا، كم سيبقى في العمر؟

شريف: أنا لا أعلم كم سيبقى في العمر، لا أحد يعلم كم سيبقى في العمر.

يضحك (سلامة) لبراءة عقل (شريف) فإجاباته على الأسئلة كإجابات الطفل الصغير المهذب.

سلامة: لا تشغل بالك بي... أخبرني الآن أجئت لشراء الكتب أم استبدالها؟

يخرج (شريف) من جيبه ورقتين إحداهما الكتب المطلوبة والأخرى الكتب التي يملكها القابلة للتبديل ليعطيهم لـ(سلامة)، فينظر (سلامة) للورقة في ذهول.

سلامة: يا إلهي إنهم أكثر من ٢٠٠ كتاب.

شريف: ٢٣٧ كتاب.

ينظر(سلامة) عن قرب أكثر إلى لائحة الكتب.

سلامة: ما هذا الاسم؟

شريف: the alchemist، Paulo Coelho.

سلامة: ولكنك قمت بشراء هذه الرواية من قبل.

شريف: لا.

سلامة: ألا تتذكر يا بني منذ أكثر من أسبوعين قمت بشراء بعض الكتب والروايات، كانت هذه الرواية من ضمنهم؟

شريف: من أسبوعين قمت بشراء ١٥ كتاب، و٤ روايات، the origin، مخطوطة بن إسحاق، الخيميائي، جريمة في النيل.

سلامة: ها هي ،الكيميائي.

شريف: أنا أريد the alchemist.

سلامة: إنها نفس الرواية.

شريف: لا، هذه باللغة العربية والأخرى بالإنجليزية.

سلامة: فهمت قصدك، لما لم تقل ذلك منذ البداية.

شريف: أخبرتك بذلك منذ البداية.

يبتسم (سلامة) أخيرًا بعد الاضطراب العقلي الذي تسبب فيه (شريف)، ليسأله العجوز بنظرة خبيثة عن عدد الكتب التي يملكها.

شريف: ٩٧٤٣ كتاب.

سلامة: ما شاء الله، والكتاب الذي تحمله في حقيبتك.

شريف: زائد الكتاب المتواجد داخل الحقيبة يساوي ٩٧٤٤.

كانت إجابات (شريف) وكلماته البسيطة سببًا لدخول السعادة والضحك إلى قلب (سلامة) لكن السعال دخل أيضًا بلا توقف، لم تبدُ علامات الخوف أو القلق على وجه (شريف) من السعال المميت الذي يخترق أذنه، لكن كلماته البسيطة وإحساسه المدفون داخله كان كافيًا لـ(سلامة)، حتى أنه طلب من (شريف) ألا يخبر (محمود) عن شربه للقهوة أو حتى التدخين.

شريف: محمود دكتور، يستطيع أن يعالجك، أنت مريض، لا بد أن تستمع إلى تعليمات الطبيب.

سلامة: إذن فلنعقد اتفاقًا، سأقوم بعمل خصم كبير على الكتب الجديدة في المقابل ألا تخبر ابني عن هذا الأمر.

شريف: هل هذه رشوة؟

سلامة: ماذا!...لا يا بني...هذا اتفاق.

شريف: لا، هذه رشوة.

سلامة: إذن يا سيدي يمكن أن تكون رشوة، موافق أم لا؟

شريف: على الرشوة؟

سلامة: على الرشوة.

شريف: حسنًا، موافق.

يبتسم (شريف) قليلًا أمام ضحكات (سلامة) الطيبة لكن سرعان ما تختفي الابتسامة عندما يمد (سلامة) يده لمصافحة (شريف)، لم يعتد (شريف) ملامسة أحد حتى (سلامة) فتراجع (شريف) خطوة للخلف، لم يتفاجأ (سلامة) بهذا الأمر لمعرفة (شريف) وعاداته الغريبة منذ سنوات، لذلك لم يهتم بهذا الموقف، بل أكمل حديثه وطلب من (شريف) أن يمهله بعض الوقت لتحضير كل هذه الكتب.

شريف: كم ساعة تريد؟

سلامة: أقصد أمهلني بعض الأيام لتحضير الكتب.

شريف: كم يومًا؟

سلامة: ستكون الكتب جاهزة بعد عشرة أيام.

شريف: صباحًا أم مساءً؟

سلامة: ماذا تقصد؟

شريف: بعد عشرة أيام، سيكون يوم الأربعاء، هل ستكون جاهزة يوم الأربعاء صباحًا أم مساءً.

سلامة: لأنك فتى متعب ودقيق، سأحضر لك الكتب بعد عشرة أيام إلى بيتك مساءً، حتى أقوم بأخذ الكتب القديمة، لذلك يمكن أن تتصل ب...

شريف: سلام.

يتحرك (شريف) فجأة بعيدًا عن المكتبة، متوجهًا إلى عمله، فينظر (سلامة) إليه في تعجب وذهول ثم يبتسم قليلًا ويضرب كفًا على كف، ليبدأ السعال من جديد ثم يدخل المكتبة.

❦ ❦ ❦



المثرو

من الممكن أن يصاب الناس بحالة غفلة أو عدم اهتمام بمن حولهم، من الممكن أن تكون همومهم، ومشاكلهم الحياتية، والمستقبلية أصابتهم بالعمى التام، لكن من المؤكد أن عقلية (شريف) العبقرية طغت على حالته التي يظن البعض أنها مرض قد ينفر منه الكثير، وقد يتعاملون معه بإحسان مبالغ فيه وكأنه شخص متسول أقل منهم شأنًا، بالإضافة إلى الفئة الأخرى التي تتعامل معه بتهجم شديد وسخرية وهى الفئة الوحيدة المدركة لمدى عبقرية (شريف) وهم على يقين بأنه أعلى منهم شأنًا في المعرفة والعلم، لذلك يسخرون منه محاولين إخفاء عيوبهم وجهلهم أمامه، لكن ما لم يدركه أحد أن هذا الشاب الذكي رغم مهارته العلمية إلا أنه يجهل معنى الإحساس بالكراهية، أو السخرية، أو النفاق، أو أي من الأمراض الأخلاقية التي أصابت المجتمع، لذلك ينجو (شريف) بحياته من هذه الأمراض بعقله غير مستخدم قلبه.

يتابع (شريف) روتينه اليومي بمفرده دون مساعدة أحد لإيمانه الشديد بأنه شخص طبيعي وأكثر، حيث يسير (شريف) بين الناس بخطوات هادئة متزنة، لكن عينيه متجولة أسرع من حركة الناس التي تمر من حوله، حتى أنه يقف في هدوء شديد وراحة نفسية رغم حالة الغضب المحيطة به من الناس المنتظرة في الصف لقطع تذكرة المترو.

يقف (شريف) على رصيف المترو منتظرًا وصوله ناظرًا إلى كل الوجوه التي حوله، ليبدأ ملاحظة الفتاة الواقفة على الرصيف والمنتظرة للمترو مثل الجميع، مرتدية ملابس ضيقة وتتحدث في الهاتف، مبتسمة ووجنتاها حمراوان قليلًا، كما يلاحظ الرجل البدين الواقف خلفها بأكثر من متر ممسكًا إلى الجريدة متظاهرًا بالقراءة بينما هو يتأمل جسد الفتاة من الخلف، كما يلاحظ أيضًا الشاب المتجه ليقف بجانب الفتاة والذي ضغط على زر إقفال الموبايل ثم يتظاهر بالتحدث في الموبايل بجانب الفتاة ليبدأ النظر إليها نظرات تحرش، تلاحظ الفتاة نظرات الشاب لها لتبدأ التحرك بين صفوف النساء، الأمر الذي جعل الشاب غير مهتم ليذهب بعيدًا، بينما تظهر علامات الحسرة والغضب على وجه الرجل البدين، فيبتسم (شريف) ابتسامة صغيرة لاستمتاعه بالفيلم الواقعي القصير الذي شاهده والذي انتهى بوصول المترو، فيتراجع (شريف) بعض الخطوات متجنبًا الملحمة الدموية اليومية، حيث يبدأ الجميع في التدافع لدخول المترو بينما يظل

(شريف) واقفًا لتظهر عليه ملامح اضطراب خفيفة جدًا من هذا المشهد، حتى يستقر الجميع في مكانه داخل المترو فيحدد (شريف) المكان المراد الوقوف فيه، ثم يدخل المترو قبل إغلاق أبوابه بلحظات.

على الرغم من أن استخدام المترو جزء أساسي من حياة (شريف) إلا أن التوتر والقلق لم يختفِ ولو قليلًا، أو على الأقل لم يهدأ إلا بعد التوقف في المحطة الأولى للمترو حيث تخرج الكثير من الجموع خارج المترو ليتبقى مساحة لا بأس بها خالية، ويتوفر بعض المقاعد الخالية ليجلس (شريف) أخيرًا وتنطفئ نار الذعر بداخله، لكن نار الحذر لا تنطفئ أبدًا، فينظر (شريف) يمينًا ويسارًا في حذر، فيخرج الموبايل الخاص به، ليبدأ تصفح الحساب الشخصي له على الفيس بوك والذي لا يحتوي على صورة أو حتى أصدقاء، ثم يفتح الموقع الإلكتروني الخاص بجريدة (نهار مصر) متصفحًا جميع الأخبار المنشورة حتى يتوقف عند الفيديو الذي تم تصويره لحظة وفاة الكاتب المشهور (نادر شوقي) في حفلة توقيعه عند إصابته بأزمة قلبية، ورغم أن الفيديو لا يتعدى الدقيقتين إلا أن (شريف) أخذ يكرر مشاهدة الفيديو أكثر من مرة بتركيز شديد دون أن يحرك عينيه يمينًا ويسارًا كعادته، حتى يجد الحقيقة التي لم يرها أحد.

***



طه

يدخل (شريف) مبنى جريدة (نهار مصر) بخطواته الهادئة وموعد وصوله الدقيق كعادته، لكن على غير العادة يجد عم (طه) موظف الاستقبال يقفز من مقعده متجهًا إليه مسرعًا بابتسامة مبالغ فيها.

طه: أين أنت يا أستاذ (شريف)؟

شريف: صباح الخير.

طه: صباح النور يا بني، الأستاذ الكبير متواجد منذ أكثر من ساعة على غير عادته ومنذ وصوله يبحث عنك ويؤكد على الجميع ضرورة المرور على مكتبه بمجرد وصولك.

لم يصب (شريف) بأي اندهاش أو تعجب لما سمعه، لم يرهق ذهنه عن سبب البحث عنه من قبل رئيس التحرير بنفسه، لم يهتم بأسئلة (طه) الماكرة والفضولية لمحاولة

معرفة سبب الضجة التي أثارها الأستاذ (محسن النجار) صباحًا بسبب فتى وظيفته في الجريدة مدقق لغوي لا أكثر، لم يكترث (شريف) لنظرات (طه) البغيضة له وكلماته التي يظن لم يسمعها أحد، لم يهدر طاقته للنظر إلى (طه) الذي يقذف لسانه السباب من وراء ظهره، كل ما كان يشغل باله الحقيقة التي دفنت مساء أمس.

* * *



نهار مصر

تختلف الناس عن بعضها البعض، ليس مجرد اختلاف في الشخصيات والطباع والتفكير أو حتى الذوق العالم، بل اختلاف في الوظيفة وتأدية واجب العمل، رغم أن المحررين في جريدة (نهار مصر) متساويين في العمل والأجور وحتى المستوى الثقافي إلا أن الأخلاق تخلق الفروقات الطبقية بين الزملاء، ورغم أن جميع المحررين يجلسون في مكان واحد ضخم المساحة، وكل مخصص له مكتبه منهمكًا في كتابته، واتصالاته، ومعرفة الأخبار الحصرية المحلية والعالمية، لكن لم يكن الجميع مهتم بعمله الحالي على قدر اهتمامه بإنجازاته الشابة، فيجلس (رامي) على مكتبه ممسكًا بالطبعة الأولى من جريدة اليوم في قمة التفاخر والغرور بمقاله الذي نشر في الصفحات الأولى عن وفاة الكاتب (نادر شوقي)، لم يكتفِ بهذا فحسب بل أيضًا قام بفتح الموقع الإلكتروني للجريدة بالتحديد على مقاله والصور والفيديوهات التي قام

بتصويرها لحظة وفاة الكاتب الكبير. لكن الغرور والتفاخر لا طعم له دون الجمهور، ليقف خلفه زملاؤه. (سمير) و(ناهد) اللذان يهنئانه على هذا السبق الصحفي، أما (علا) فكانت واقفة معهم تقلم أظافرها لا أكثر.

ناهدة: ضربة حظ.

لم يهتم (رامي) بكلمات (ناهد) الحاقدة ولم يهتز غروره ولو للحظة مؤمنًا بأن مهاراته لا نظير لها.

رامي: يا بني أنا مدفون في هذه الجريدة، لو أعطى لي الأستاذ الفرصة وأدرك موهبتي، سيتشرف بنقلي لكتابة المقالات السياسية، ولا أقبل بأقل من ذلك.

لم يتلقَ (رامي) أي دعم لكلماته القوية، فكان فم (سمير) مشغولاً بالتهام الشطائر كالعادة، أما (ناهد) فرغم حزنها على (نادر شوقي) كاتب (سفاح العاصمة) أشهر مسلسل مصري والأكثر غموضا في الوطن العربي كافة، إلا أنها تحاول جاهدة معرفة الشخص الذي قضى الليل حتى الفجر مع (علا)، لكن بلا نتيجة، فأنوثة (علا) وجمالها يتحدثان نيابة عن لسانها، أما غرورها أكثر غرورًا من (رامي) نفسه.

يتوقف الأربعة عما يفعلونه بدخول (شريف) من باب الجريدة، محاولين تهدئة (رامي) الذي لا يتوقف عن السخرية من هذا المعاق ذهنيًا كما يلقبه (رامي) بكل عجرفة وقسوة،

رغم أن الجميع غير مهتمين بأمر (شريف) إلا أن (سمير) كعادته يحذر المغرور بأن (شريف) له الدرع الذي يدافع عنه دائمًا وليس من الحكمة معاداة رئيس التحرير شخصيًا، لكن لم ينكمش غضب (رامي) من هذا التحذير بل ازداد عندما اقترب (شريف) على غير عادته للتحدث مع (رامي).

رامي: أهلًا بك يا كوكي، هل تغضبك كلمة كوكي يا كوكي؟

شريف: أريد الصور والفيديوهات الخاصة بحفل التوقيع الخاص بـ(نادر شوقي).

رامي: أخبرني أولًا ما رأيك في المقال الذي كتبته.

شريف: أعجبتني الصور.

رامي: هذه إجابة معاقة من شخص معاق، إنها ليست الإجابة السليمة لسؤالي، تحدث مثل الإنسان الطبيعي.

سمير: اهدأ قليلًا يا رامي.

شريف: أنا طبيعي.

رامي: إذن فلتجب على سؤالي دون إجابات مجنونة.

شريف: أعد السؤال.

رامي: من حقك، ما رأيك يا (شريف)؟

شريف: كن محددًا، ما هو رأيي في ماذا؟

رامي: في المقال؟

شريف: كن محددًا، والسؤال كاملًا لو سمحت؟

رامي: ما هو رأيك يا شريف، عن المقال الذي أنا كتبته عن مصرع الكاتب (نادر شوقي)؟ أو الذي نشر في طبعة اليوم؟

شريف: لم يحدث.

يضحك (رامي) ضحكة سخرية على إجابة (شريف)، فيبتسم زملاؤه في حرج من هذه الإجابة، حتى أن هذه الضحكات جعلت جميع من بالمكان يتابعون المحادثة التي تبدو مشوقة، فيقترب (رامي) من (شريف) وفي يده صحيفة اليوم.

رامي: انظر جيدًا، هل ترى عنوان المقال.

شريف: مكتوب (وفاة الأسطورة نادر شوقي).

رامي: انظر مرة أخرى، هل ترى اسم كاتب المقال.

شريف: رامي شوكت.

رامي: هل أدركت النتيجة أم أن عقلك البليد لم يدرك أنني كتبت مقالًا من أهم المقالات التي نشرت في الجريدة، فلم يقم أحد من قبل بتغطية لحظة وفاة أحد الشخصيات المشهورة من قبل.

شريف: لم يحدث.

تعالت الضحكات مرة أخرى ولكن ليس من (رامي) وعصابته بل من غالبية الجمهور المشاهد لهذه المباراة.

سمير: أرجوك يا (شريف) بعض التركيز، يحاول (رامي) إخبارك بأنه كتب هذا المقال... سأحاول مساعدتك، كيف علمت أن (رامي) كان في حفل التوقيع ليلة أمس.

شريف: لقد قرأت مقال اليوم.

ازدادت الضحكات أكثر فأكثر على الإجابة التي تبدو بلهاء، لكن أثارت البلاهة غضب (ناهد) قليلاً.

ناهد: غباؤك سيسبب لي أزمة قلبية، إذا كنت قد قرأت المقال، لماذا تقول هذه الإجابة الغبية (لم يحدث).

شريف: لم يحدث تعني أن (رامي) لم يكتب هذا المقال.

تتوقف ضحكات الجميع منصتين لكلمات (شريف) التي قد تؤدي إلى عراك .

رامي: ماذا تقول يا كوكي، إن لم أكتبه فمن كتبه؟ العفريت مثلا.

شريف: لا وجود للعفاريت، كاتب المقال أحمد بهجت، ٢٠ سنة، في الفرقة الرابعة من كلية الإعلام، يمتلك صفحة على

الفيسبوك باسم السلطة الرابعة، ٥٠٧٣٧ متابع للصفحة، طريقة كتاباته مختلفة لأنه دائمًا ما يقوم بخلط الفصحى التراثية مع الفصحى العادية، من عيوبه الدائمة الأخطاء الإملائية خاصة في حرف الـغ ، لا يراجع أبدًا ما كتبه.

صوت حركة عقارب الساعة مسموع بشكل قوي من السكون التام لجميع من بالمكان لاندهاشهم الشديد من إجابة (شريف) التفصيلية، وعلامات الذهول تبدو عليهم بشكل واضح، ماعدا وجه (رامي) الغاضب. تهمس (ناهد) في أذن (علا).

ناهد: أليس أحمد بهجت هو ابن أخت رامي؟

علا: اصمتي.

رامي: هل تعلم ما خطبك يا (شريف)، أنت شخص مريض، تتوهم بـ..

شريف: كل إنسان مريض، مشكلة (سمير) السمنة وأعراض بواسير، (ناهد) مصابة بحساسية من الفول السوداني، (علا) مصابة بقصر النظر، تحديدًا أقل من المعدل الطبيعي بأربع درجات وترتدي العدسات اللاصقة طوال الوقت، (رامي) مصاب في عضلة القلب.

تتحول نظرات الذهول إلى شيء من الغضب، فتشارك (علا) في المعركة.

علا: لا يا شريف ، (رامي) يقصد بأنك مريض نفسي.

شريف: كل إنسان مصاب مرض نفسي، يعاني (سمير) من اكتئاب وأرق بسبب هجر زوجته له لكرهها الشديد لسمنته، يحاول تجاهل الحقيقة رغم معرفته بها، يتظاهر أمام الجميع بتناوله أكل صحي لكن فترة الصباح يلتهم شطائر بيض بالكاتشب مع شرب الصودا، مؤمنًا باستطاعته لحرق الدهون على مدار اليوم بالإضافة إلى الأكل قبل النوم، مرض نفسي. ناهد، تشعر أنها ظلمت نفسها بسبب زواجها في سن مبكر، تقوم بتفريغ شحنة غضبها على أطفالها ليلًا وتأتي صباحًا حزينة باكية بسبب تعاملها مع أطفالها، مرض نفسي. علا، غير راضية عن حياتها، متظاهرة بالتحرر الشديد مع أن أهم أمنياتها أن تصبح أمًا، مرض نفسي، رامي، نرجسية غير عادية وبذل المستحيل لإثبات إنه الأذكى والأقوى دائمًا.

رامي: لكن أنت متخلف عقليًا.

شريف: غير صحيح أنا مريض بالتوحد و Savant syndrome، ليس له علاقة بالتخلف العقلي.

بنبرة حادة غاضبة ينصح (رامي) خصمه أن يذهب للطبيب مرة أخرى للتأكد من صحة عقله، وتناول الدواء بشكل منتظم للتحرر من هذه الأوهام والاتهامات الباطلة، محذرًا (شريف) بأنه سيقوم بعمل شكوى بسبب هذا الافتراء الذي لا صحة له.

رامي: هل من العدل أن أبقى ساهرًا في منزلي مجدًا في عملي لإنهاء المقال وينتهي الأمر بأني لص؟

شريف: أنت لم تكن في منزلك ليلة أمس، ترتدي نفس ثياب البارحة، لقد كنت في منزل (علا).

تزداد حالة الذهول لدى الجميع مع زيادة التشويق لهذا العراك، منتظرين الدماء المتناثرة من كلا الخصمين.

سمير: إياك واتهام الناس بدون دليل يا هذا.

شريف: ياقة قميص (رامي) من الداخل مطبوع عليها لون أحمر الشفاه التي استخدمته (علا) بالأمس، من الواضح أن كليهما في حالة عجلة في الصباح، لم يقم (رامي) بمسح أحمر الشفاه خاصتها جيدًا المتواجد أعلى رقبته، لم تقم (علا) بتمشيط شعرها المبلل جيدًا.

بدأ الجميع من النظر إلى (رامي) والتفاصيل التي لاحظها (شريف)، كما لم تسلم (علا) من النظرات التي كادت أن تقتلها حرجًا، لتدمع عيناها وهربت من المكان باكية، في هذه اللحظة كانت قبضة (رامي) في وضعية الاستعداد لتحطيم وجه (شريف)، لكن توقف (رامي) فور سماع اسمه ينادى من قبل (محسن).

محسن: أرجو أن يكون الجميع قد استمتع بمشاهدة المسرحية تاركين العمل.

يعود الجميع إلى عمله بعد كلمات رئيس التحرير الحادة ونظراته الغاضبة، فيقترب (محسن) من (رامي) هامسًا في أذنه.

محسن: أنت تعلم أن (شريف) يعمل هنا بالمحسوبية والواسطة، لكن تذكر جيدًا أنك أيضًا أ تعمل هنا بالمحسوبية والواسطة لا أكثر، إذا اقتربت من (شريف) مجددًا، سأجعلك المسؤول الأول عن كتابة (حظك اليوم)، واضح؟

رامي: واضح سيدي.

شريف: أريد صور وفيديوهات الحفلة.

محسن: ليس من حقك أو تخصصك أن تطلب هذه الأشياء دون موافقتي، واضح؟

يصمت الجميع، منفذين أوامر (محسن النجار) دون أي اعتراض، فيتوجه (شريف) إلى غرفة مكتبه الصغير، ويعود (رامي) إلى مكتبه لمباشرة عمله، بعد التأكد من أن الجميع في مواقعهم وعجلة العمل دارت من جديد.

محسن: رامي، سأكون في مكتب (شريف)، أحضر لي جميع صور وفيديوهات الحفلة... بالمناسبة، رجاءً، أخبر (أحمد بهجت) أن يقوم بتعديل أسلوب كتابته قليلًا حتى تليق بك.

❦ ❦ ❦



اتفاق جديد

لم يكن حقد جميع العاملين بالجريدة بسبب تخصيص (شريف) مكتب له فقط، فلا يتمنى أحد دخول هذا المكتب الذي خلا من النوافذ ومساحته التي تسبب التوتر لأي شخص، فالكثير منهم لا يقبل أن يجلس في المخزن القديم لأدوات النظافة، إنما الحقد بسبب بركان الغضب المنفجر في وجههم طوال اليوم يصبح خامدًا ولطيفًا مع (شريف) وحده، فقد التهم الحقد التعاطف مع هذا الشاب الصغير الذي يحتاج عناية خاصة جدًا، حتى أنهم تناسوا سيرة (هشام هدهد) رئيس التحرير السابق للجريدة، غير مدركين لحقيقة (محسن النجار) الذي أخذ على عاتقه تربية (شريف) بعد وفاة والديه، إنما ناظرين للعاق (شريف) الذي استقل عن والده بالتبني، ليسكن وحده في شقة (محسن) القديمة، فكيف لهذا الكاسر أن يكون حنونًا فقط على (شريف) الذي تركه وحيدًا بعد هذه السنين.

يدخل (محسن) مكتب (شريف) الصغير المساحة حيث أنه يتسع فقط لثلاثة أشخاص لا أكثر. والذي يحتوي على مكتب صغير عليه حاسوب وطابعة ورق، بالإضافة إلى الكرسي الخاص بشريف وكرسي أمام المكتب.

تظهر علامات الغضب على وجه (محسن) لكن غير معلوم سببها، لم ينتبه (شريف) إلى الغضب المرسوم على وجه رئيسه ، حيث كان همه بعد أن استخدم تطبيق (أوبر) من على الهاتف، قام بوضع حقيبته على المكتب لإخراج اللاب توب لبدء العمل، فيجلس (محسن) على الكرسي الموجود أمام المكتب محاولاً إطفاء نار الغضب قبل بدء الحديث.

محسن: هل أنت بخير يا بني؟

شريف: أنا بخير.

محسن: هل من الممكن التحدث قليلاً.

أخذ (شريف) بعض الوقت للإجابة، من الصعب اختراق التفكير العميق والتركيز الشديد لهذا الشاب.

شريف: حسناً، الموضوع الأول أم الثاني؟

محسن: الأول أم الثاني؟ لا أفهمك.

كان (محسن) من الأشخاص القليلة التي على علم بحالة الشاب الخاصة، ووجب عليه التحلي بالهدوء والصبر خلال التحدث مع (شريف).

محسن: شريف؟

شريف: بالضبط.

محسن: هل من الممكن توضيح سؤالك.

شريف: الموضوع الثاني له علاقة بما حدث بالخارج منذ قليل، أنت في حالة غضب.

محسن: بالطبع غاضب، أخبرتك أكثر من مرة ألا تقوم بهذا النقد للجميع وتكشف أسرارهم بهذا الشكل.

شريف: إنها الحقيقة.

محسن: ليست وظيفتك أن تخبرهم حقيقتهم.

شريف: هل الحقيقة وظيفة؟

محسن: يا بني، الكثير يحاول الهروب من الحقيقة أو إخفائها للأبد حتى من أنفسهم.

شريف: كلام غير منطقي أو علمي.

محسن: لكنها الحقيقة، أنا على اليقين، بأن ذلك كان رد فعل بسبب عجرفة (رامي)، لكنك قمت بإهانته ومن معه، أعتقد سأحصل على أكثر من طلب استقالة هذا اليوم.

شريف: لن يستقيل أحد اليوم.

محسن: لقد سمعت منك هذه الكلمة من قبل، وحصلت على طلب استقالة عما فعلته الشهر الماضي.

عندما شعر (محسن) بحدة صوته من أفعال ولده أو من اتخذه ولدًا، أدرك الأمر على الفور ليهدأ قليلًا.

محسن: هل تعدني يا بني ألا تواجه الناس بحقيقتهم كما فعلت؟

شريف: لا.

محسن: إذن سأعقد معك اتفاقًا، لا تتحدث مطلقًا مع أحد في هذا المكان، إن كنت تريد أي شيء أطلبه مني فقط.

يحاول (شريف) تحليل هذا الاتفاق في عقله قبل الموافقة ومصافحة الشخص الوحيد الذي يصافحه في العالم كله، وبالفعل اجتمع الاثنان على هذه الفكرة التي قد تنجي الكثير من العاملين في الجريدة.

يدخل (رامي) المكتب لينفذ أوامر رئيسه بالعمل ويعطيه بطاقة الذاكرة التي تحتوي على جميع الصور والفيديوهات الخاصة بحفل ليلة أمس، ليضعها (محسن) في يد (شريف) دون السؤال عن إصراره الشديد لمشاهدة الصور، ولكن ما لاحظه (محسن) هو تلهف (شريف) الشديد لمشاهدة هذه الصور، لكنه كان يحاول أن يعطي الثقة في قرارات (شريف)

بحذر، مؤمنًا بأن (شريف) شخص نابغ وقادر على مواجهة العالم بمفرده، لكن ما قطع أفكار (محسن) تواجد (رامي) الذي ما زال في المكتب دون أي سبب، فيجد (محسن) بأنها فرصة مناسبة لتهدئة الأوضاع بين موظفيه، فيأمر الرئيس من (شريف) الاعتذار لـ(رامي)، فاعتذر (شريف) دون أي مجادلة أو حتى تفكير، حيث كانت عيناه لا تفارق شاشة اللاب توب متأملة جميع تفاصيل الصور والفيديوهات، حتى أنه لم يسمع اعتذار (رامي) له بأمر من رئيس التحرير. ورغم إحساس (محسن) بإخماد نار الحرب بين العاملين، إلا أن التعجب ما زال في عينيه، عندما وجد (رامي) واقفًا في مكانه دون الذهاب لمباشرة عمله، ليتفهم (محسن) الأمر ويعطي لـ(رامي) الضوء الأخضر للبوح عما في صدره، لكن ازداد التعجب، عندما طلب (رامي) أن يوجه سؤاله إلى (شريف) وليس إلى رئيسه.

شريف: لا.

محسن: شريف، من العيب أن يطلب أحدهم سؤالك وترفض.

شريف: قلت لي ألا أتحدث مع أحد، إنه الاتفاق.

محسن: حسنًا، فليكن بداية الاتفاق بعد الإجابة على سؤال (رامي).

شريف: حسنًا، يمكنك السؤال.

رامي: من أخبرك أني أعاني من علة في القلب؟

شريف: لا أحد.

رامي: إذن كيف علمت؟

يتعجب (محسن) و(رامي) من الصمت الذي طال قليلًا دون أي سبب واضح.

محسن: شريف؟

شريف: نعم؟

محسن: لم لا تجب على سؤال؟

شريف: أجبت على السؤال؟

محسن: لكنك أجبت على السؤال الأول وليس الثاني.

شريف: لقد أخبرتني بأن الاتفاق سيبدأ بعد الإجابة على السؤال الأول.

إذا أجاب أي شخص آخر هذه الإجابة لأيقن (محسن) بأن هذا الشخص ماكر، لكنه على يقين بنقاء قلب (شريف) وإتباعه الأوامر بدقة شديدة، من المحرج لرئيس التحرير أن يقوم بتعديل الاتفاق مرة ثانية، لذلك فضل أن يقوم بسؤال

(شريف) بنفسه، حتى لا يخل باتفاقه، والحصول على الإجابة كما يريد.

شريف: علامات الإصابة بمرض في القلب هي تورم في الكاحلين والقدمين الظاهرين على (رامي) خاصة بأنه يخلع حذاءه أثناء الجلوس في خلسة، يصاب (رامي) بضيق في التنفس على فترات مختلفة محاولاً إخفاء هذا الأمر، الاستنتاج النهائي مشكلة في القلب لسبب وراثي بالإضافة لشرب الكحول لفترات طويلة.

أصيب (محسن)و(رامي) بالذهول من إجابة (شريف) الدقيقة لينسحب (رامي) من المكتب في هدوء، وقبل الخروج لحظة واحدة ينصحه (شريف) بزيارة الطبيب مع تقليل شرب الخمر وتناول حبوب الفياجرا.

شريف: الموضوع الأول؟

محسن: ماذا؟... نعم، هل أنت بخير؟

شريف: أنا بخير.

محسن: هل حدث لك أي شيء أثناء قدومك للعمل هذا الصباح؟

شريف: لا.

محسن: لكنني علمت بأنك كنت في حادث هذا الصباح أمام المنزل.

شريف: لا... إنها حادثة بين سيارتين.

محسن: لكنك كنت متواجدًا بالقرب من الحادث؟ وكدت أن تصاب بأذى.

شريف: بالضبط.

محسن: إذن لماذا تخبرني أن لم يحدث لك شيء؟

شريف: أنا لم يحدث لي شيء بالفعل.

محسن: أعتقد من الأفضل أن تعود للبيت لتستريح قليلًا، هل أوصلك إلى المنزل؟

يصمت (شريف) واضعًا تركيزه على شاشة اللاب توب ليبتسم ابتسامة واضحة والتي تزداد بعد الانتهاء من طباعة كل الصور فينظر (شريف) إلى (محسن) مبتسمًا ابتسامة غير معلومة السبب.

شريف: معك الحق، أنا محتاج للذهاب، هل تسمح لي بالذهاب؟

رغم محاولة (محسن) فهم سبب سعادة (شريف) إلا أن كان اهتمامه الأكبر هو الاطمئنان عليه، فوافق على طلب (شريف) دون تردد، حتى أنه كان على وشك أن يقوم بتوصيله

إلى البيت، لكن التعجب أصبح شيئًا عاديًا بالنسبة لـ(محسن) حيث اتصل سائق شركة (أوبر) على هاتف (شريف) ليؤكد وصوله وانتظاره للعميل، ليبدأ (شريف) بحزم أمتعته في سعادة مستعد للرحيل.

محسن: شريف، ألن تعود للعيش معي مجددًا؟

شريف: نعم.

محسن: أرجو أن تعيد التفكير في هذا الأمر.

شريف: حسنًا.

محسن: لم تسألني عن كيفية معرفتي بالحادث الذي مررت به صباحًا.

شريف: مدحت عامل القهوة يتصل بك هاتفيًا كل صباح بمجرد خروجي من المنزل.

يخرج (شريف) من المكتب تاركًا رئيسه مبتسمًا فخورًا بولده الفائق الذكاء، النقي القلب.

يخرج (شريف) من أمام الجريدة ليجد سيارة ملاكي واقفة، فيذهب إلى الخلف لتفقد رقم السيارة ثم يعود ليقف أمام الباب الأمامي المجاور للسائق صامت غير من مكانه، ليلاحظ السائق (محمد) وجود (شريف) ووقوفه المريب، ليبدأ (محمد) بإلقاء التحية والسؤال إذا كان الشخص الموجود أمامه هو (شريف) أم شخص آخر، فابتسم (محمد) فور

علمه بأنه (شريف) بالفعل لكن سرعان ما تحولت الابتسامة إلى تعجب بعد سؤال (شريف)، حتى أن (محمد) ظن أن سمعه اختلط بكلمات خاطئة فسرعان ما تحول التعجب إلى غضب عندما تأكد من الكلمات بعد أن أعاد (شريف) طلبه.

شريف: أريد أن أرى هويتك الشخصية.

فيخرج (محمد) هويته الشخصية ليعطيها إلى (شريف)، فيأخذ (شريف) وقتًا طويلًا متأملًا صورة الهوية الشخصية ومعرفة كل بيانات صاحب السيارة، فيتأكد أخيرًا أنها صحيحة، ليدخل إلى السيارة جالسًا بجانب (محمد)، طالبًا منه التوجه إلى الجهة المتفق عليها، حتى أنه لم يجب على سؤال (محمد) الذي حاول جاهدًا كسب ثقة عميله دون جدوى، ليكرر (محمد) سؤاله مرة أخرى.

محمد: لماذا تريد الذهاب إلى إدارة المباحث؟

❦ ❦ ❦

غرفة الذكريات المزعجة

أصبحت الحيلة القديمة غير خادعة لرجال الشرطة عندما يبدأ المتهم بالبكاء ويقسم بالله أكثر من ألف مرة بأنه بريء ولم يرتكب أي جريمة يصاب رجال الشرطة بالملل ليكون أمامه طريقتان لاستمرار التحقيق إما استعمال الشدة والعنف مع المتهم لمعرفة الحقيقة، إما استخدام سياسة النفس الطويل بتجاهل المتهم وكلامه ودموعه الزائفة فعندما ينتهي من حيلته لا يجد نتيجة إيجابية لها فيبدأ بقول الحقيقة شيئًا فشيئًا، لذلك فضل الرائد (سليم) الاستعانة بالطريقة الثانية، فأشعل سيجارته ناظرًا من نافذة مكتبه مستمتعًا بالهواء المختلط مع دخان السيجارة، منتظرًا انتهاء المسرحية الهزلية التي يقوم بها (سيد) المتهم بسرقة منزل رئيس المباحث. لكن استمتاع (سليم) لم يدم طويلًا، حيث لاحظ شابًا يدخل ساحة القسم، لم يبدُ كالمجرمين، أو من أصحاب الشكوى القادمين للإبلاغ عن سرقة أو شيء من هذا القبيل،

رغم خطواته الهادئة والمتزنة لم تكن مثل باقي الناس، لم تكن خطوات خطرة ولكنها ليست بطبيعية، الأمر الذي جعل (سليم) يراقبه أكثر، لكن سرعان ما تشتت تركيزه فور سماع صافرة سيارة الشرطة وانطلاق العساكر إلى الخارج وفتح بوابات القسم على مصراعيها وتأدية التحية العسكرية فور دخول سيارة الشرطة الخاصة بالسيد رئيس المباحث، العميد (راجح)، فتدخل السيارة لتقف في المكان المخصص لها أمام باب القسم كعادتها اليومية، لكن على غير العادة تتوق السيارة بمجرد مرورها من بوابة القسم، لتفادي دهس هذا الشاب الغريب الخطوات، واقفًا أمام السيارة بخوف شديد وظاهر من صعوبة وسرعة تنفسه، مغمضًا عينيه خوفًا ممن حوله، واضعًا يديه على أذنه متجنبًا خوفه من صوت صافرة الشرطة التي سمعها يوم الحادث الذي راح ضحيته والده على طريق المقطم، ليحاول جاهدًا الخروج من غرفة الذكريات المزعجة الموجودة بداخل عقله، لكن دون نتيجة، ليزداد خوفه وتوتره حتى تدمع عيناه من الخوف فيبدأ بضرب مقدمة سيارة رئيس المباحث مخرجًا من جوفه صرخات الرعب.

كادت أن تعلن وزارة الداخلية حالة الطوارئ بسبب وجود إرهابي يهاجم سيارة رئيس المباحث، ليخرج (حسن) سائق السيارة ليهجم على المعتدي، ويسرع أمين الشرطة (بركات) بإمساك (شريف) من الخلف بينما ينقض (حسن) من الأمام، في تلك اللحظة ينتشر العساكر حول المتهم شاهرين سلاحهم في وضع الاستعداد لإطلاق النار.

حسن: هل أنت مخمور أيها المجنون؟ تعتدي على سيارة رئيس المباحث؟

بركات: أخبرني أيها الصعلوك ما اسمك ؟ وماذا تريد ؟

بدأ الهدوء يصل إلى قلب (شريف) بعد أن أغلقت صافرة الشرطة، لكن افترس الرعب كيانه بعد أن أمسكه العساكر وأصبح غير قادر عن الحركة، فتجمد لسانه عن الكلام، وانهمرت الدموع من عينيه، غير قادر على إجابة الاتهام أو السباب الموجه له، أو مقاومة الضربات التي يتلقاها ظهره، حتى توقف كل شيء حوله، بخروج سيادة العميد (راجح) من سيارته لمعرفة الأمر بنفسه، لكن ازداد خوفه بوقوفه أمام (راجح) حاد الملامح ذي الصوت الغاضب والمرعب، فلم يقدر على إجابة أسئلة (راجح)، ولم يتلقَ العميد أي إجابة من أي شخص حوله على علم بهذا الشاب الغامض، لكن الزمن أثقل (راجح) الخبرة، فيأمر (بركات) بتحريره.

بركات: لا تقلق يا باشا، سنتحرى الأمر بكل الطرق حتى نحصل على جميع المعلومات.

يكاد (بركات) أن يبلل نفسه من صوت (راجح) المنفجر، فيأمر (بركات) مرة أخرى تحرير يده، ليقترب (راجح) من (شريف) ناظرًا إلى وجهه بدقة شديدة، ثم إلى عينيه المغمورة بالدموع والناظرة إلى أعلى دائمًا، لينتظر الجميع سماع قرار سيادة العميد وحكمه على المتهم.

راجح: تبدو البراءة على وجهه، لكنها ليست كافية، خدوه إلى الرائد (حسام) للتحقيق معه.

يتحرك (راجح) بخطوات قوية إلى داخل القسم فور إطلاق حكمه ومن خلفه (بركات) الذي يحاول جاهدًا سحب (شريف) من ذراعه لإدخاله إلى القسم، لكن الرعب يسيطر على الشاب المتهم فيتجمد مكانه، ليستعين (بركات) بزميله (وليد) ليقوما بحمل المتهم على الأكتاف لتبدأ صرخات الخوف تنطلق من (شريف) وتنطلق شلالات الدموع من عينيه، محاولاً مقاومة أفراد الأمن لكن دون جدوى.

يتوقف كل من (بركات) و(وليد)، الممسكيْن بالمتهم بقوة تجنبًا لأي محاولة هرب، فور توقف سيادة العميد الذي يسير أمامهما، والذي أوقفه (سليم) الذي انطلق من مكتبه مسرعًا بعد أن رأى كل ما حدث في ساحة القسم من نافذة مكتبه، فيطلب (سليم) من سيادة العميد أن يتولى التحقيق مع (شريف)، ليرفض (راجح) على الفور حيث أن (سليم) هو المسؤول في التحقيق في قضية سرقة منزل (راجح) شخصيًا، لكن تفاجأ (راجح) بإصرار (سليم) على التحقيق مع هذا الشاب خاصة بعد أن أكد (سليم) أن هذا الشاب مصاب بمرض التوحد.

راجح: كيف علمت أنه مصاب بالتوحد؟ هل تعلم...

لم يكمل (راجح) سؤاله بعد أن نظر إلى عيني (سليم) الحزينة، فتذكر العميد ما حدث ووافق على طلب (سليم)، فأمر كلًّا من (بركات)وزميله بإدخال (شريف) إلى مكتب الرائد (سليم)، فنفذا الأمر دون تردد متوجهين بالمتهم إلى مكتب (سليم)، ثم يتحرك (راجح) وبجانبه (سليم).

راجح: هل توصلت إلى أي معلومات جديدة؟

سليم: المتهم يدعى (سيد)، وهو حارس الموقع الذي تحت الإنشاء والمجاور لمنزل سعادتك، قام بكسر زجاج باب المطبخ المطل على الحديقة، ثم قام بسرقة مجوهرات زوجتك وهرب.

راجح: هل أنت متأكد بأنه السارق؟

سليم: وجدنا هويته الشخصية في منزلك، وتم التأكد من الحذاء الأيمن الذي وجدناه في الحديقة بأنه ملكه، كما اعتبر بأن المنديل القماشي الذي استخدم لتخدير الخادمة نعمة به ملكه بالفعل.

راجح: هل أفصح عن مكان المجوهرات؟

سليم: حتى الآن يصر بأنه بريء ولم يرتكب الجريمة.

راجح: يدعي البراءة رغم كل هذه الأدلة؟

يخرج (بركات) و(وليد) من مكتب (سليم) مؤكدين وضع المتهم بالداخل، مؤديين التحية لسيادة العميد وينصرفان

على الفور. ليصل كلٌّ من العميد والرائد إلى مكتب (سليم) ليتوقفا، لتنهض الخادمة (نعمة) من على الأرض وعيناها منهمرة بالدموع من فظاعة ما حدث لها.

راجح: كيف حالك الآن يا نعمة؟

نعمة: حمدًا لله يا سيدي.

راجح: هل رأيتِ وجه السارق؟

نعمة: لا أستطيع الكذب، أنا لم أرَ أو أسمع أي شيء، فكنت نائمة في غرفتي، وفجأة وجدت منديلًا على فمي ففقدت الوعي....

راجح: حسنًا حسنًا، أريدك أن تخبري سيادة الرائد بكل شيء عند استجوابك، ستكونين بخير.

نعمة: المهم أن تكون الهانم بخير.

راجح: إذا لم نجد المجوهرات أنا لن أكون بخير.

سليم: لا تقلق يا باشا، ستنتهي القضية خلال ساعات.

راجح: يا رب.

يتوجه (راجح) إلى مكتبه لتبدأ (نعمة) بعزف بكائها من جديد، فيغضب (سليم) ويأمرها بالتوقف عن هذا النهيق حيث كاد أن يفقد عقله من صوتها البغيض، فتصمت (نعمة)

خوفًا، ليدخل (سليم) مكتبه في حالة غضب، لكن سرعان ما تحولت علامات الغضب إلى شيء من التعجب، حيث وجد (سيد) المتهم واقفًا وبجانبه العسكري (شعبان) وكلا منهما ناظرًا إلى نهاية غرفة المكتبة حيث تتواجد الأريكة السوداء اللون ومن فوقها (شريف) المستلقي على جنبه مغمض العينين بدموع متسللة إلى خارج، منكمش الجسم، مرتعشًا من الخوف، حتى فقد وعيه من البكاء، لكنه كان مرددًا لاسم واحد فقط.

شريف: ميس علياء....ميس علياء....ميس علياء.





علياء

كان يظن العالم أنه بسبب سوء المعاملة من قبل الأهل، والبعض ظن أنه غباء، حتى الأطباء قاموا بتشخيصه كمرض التخلف العقلي. أما الطبيب النفسي (ليو كانر) هو أول من اكتشف التوحد عام ١٩٤٣، وبعد الكثير من الدراسات والأبحاث اعتقد أن سبب التوحد هو اضطرابات دماغية وخلل في الجينات التي تؤثر على القدرات العقلية، والاجتماعية، والحسية للطفل، من الممكن أن تكون هذه الأبحاث خاطئة، لكن (ليو) كان له الفضل في إلقاء الضوء على التوحد، فينطلق الأطباء بإجراء الآلاف من الدراسات على الأطفال ليكتشفوا أن بعض الفئات من أطفال التوحد متميزين بذكاء غير عادي والبعض خارق للطبيعة، وتختلف كل موهبة مع كل طفل، ليجدوا من يبدع في الرسم والموسيقا والحسابات الرياضية وغيرها، لكن الشائع في الأطفال هي صعوبة التواصل مع الأشخاص المحيطة بهم مما يجعله نقمة ونعمة

في نفس الوقت، استمرت الأبحاث والدراسات على مر السنين في الدول المتقدمة محاولين اكتشاف التوحد وقوته الغامضة، فمهما كانت الأبحاث والدراسات فلا وجود لمادة ملموسة أو مرئية داخل الجسم تشير إلى التوحد.

انفجرت المعاناة الأسرية بشكل واضح في بدايات الألفية الثالثة مع التطور التكنولوجي وانجذاب الأطفال إلى السموم الإلكترونية التي تعزلهم عن من حولهم شيئًا فشيئًا ومن ثم الوحدة التامة نهاية بصعوبة التعامل مع البشر بصفة عامة. أدرك العالم الغربي منذ سنوات عديدة مرض التوحد وتشخيص معظم المتلازمات طبقًا لملايين من الدراسات العلمية المختلفة، ومن ثم تم إنشاء المئات من مراكز إعادة تأهيل أطفال التوحد. وأدرك الوطن العربي أطفال التوحد مؤخرًا، ورغم التقدم في كافة المجالات إلا أن التأخر في الاهتمام بالطفل ما زال قائمًا، واعتبار طفل التوحد العربي هو عار ونقمة، سواءً من الأهالي أو من المجتمع المحيط، ورغم القيم والأخلاق العربية الأصيلة إلا أنها اندثرت وتلاشت في معاملة أطفال التوحد، يظن الأخرق بأنه أكثر صحة وذكاء ممن يملك التوحد، وتظن البائسة بأن التوحد مرض سرطاني مميت لمن حوله، من الممكن أن يكون الجهل بالأمر سبب في عدم الاهتمام به، ومن المؤكد أن السخرية من أي طفل تشعر صاحبها المريض بالفخر.

كان الأمر مختلفًا في مصر، عندما عادت الدكتورة (علياء) إلى وطنها بعد سنوات عدة في النمسا لدراسة كل ما هو له علاقة بالتوحد حتى ولو كان مجرد خرافة، حيث استنتجت أن أي طفل قادر على تغيير العالم وحده، إيمانها بدراسة التوحد والتعامل مع أطفال التوحد ومساعدتهم في الاختلاط مع المجتمع المحيط بهم سيوفر للبلد التقدم والازدهار بأفكارهم الخارقة للطبيعة، لم تكن أوهامًا وأحلامًا داخل عقل (علياء)، إنما هي حقائق علمية مثبتة. بالطبع (بيل جيتس) المريض بالتوحد -إذا كان مرضًا بالفعل- خير دليل على ذلك.

في السنوات الخمسة الماضية أصبح مركز الدكتورة (علياء) لإعادة تأهيل أطفال التوحد بالتعاون مع المنظمة البريطانية العالمية لعلاج التوحد من أشهر المراكز الموجودة في الوطن العربي، بعد نجاحه الباهر وتأثيره الواضح في تأهيل أطفال التوحد في التناغم مع المجتمع وإدخال السعادة والأمل في قلوب الآلاف من العائلات الذين وجدوا صعوبة التعامل مع فلذات أكبادهم، والشعور بحضن أطفالهم غير المقدر بثمن.

لم تكتف (علياء) بتحسين قدرات الأطفال الاجتماعية، بل كانت تتعمق في حياة الأطفال والوصول إلى أعمق الأماكن المظلمة داخل عقلهم، للبحث على قوتهم الكامنة، وأفكارهم الخارقة، للصعود بها إلى السطح لكي يرى العالم تميزهم وليس مرضهم.

لم تمنع الوظيفة أو المركز شغف (علياء) للبيانو وحبها للعزف عليه، بل أصبح وسيلة للتفاعل مع الكثير من الأطفال داخل المركز، فاجتذبتهم الأصوات الوترية العذبة لإخراج مواهبهم الفنية وحتى الحسابية، ورغم الأقسام المختلفة والمتنوعة داخل المركز، بدءًا من فنون الرسم، والموسيقا، وتعلم اللغات، والحاسب الآلي حتى بعض الحرف اليدوية المعقدة، إلا أن بيانو (علياء) كما يطلق الأطفال عليه، هو مركز الراحة والهدوء النفسي لهم، لذلك تم وضع البيانو في الساحة الوسطى التي تطل على جميع قاعات المركز حتى يتطاير صوته الناعم في جميع أنحاء المكان.

على الرغم من فعالية الموسيقا إلا أنها لم تكن قوة ساحرة، حيث فشلت في تهدئة الطفل الوافد حديثا إلى المركز، المستلقي على الأريكة منكمشًا، مُغمِضًا عينيه، صارخًا دون توقف بصوت أصاب أطفال المركز كافة بالتوتر، حتى أن جميع العاملين بالمركز فقدوا السيطرة على سلوكه، ليقرر طاقم العمل محاولة تهدئة الأطفال المذعورة رعبًا من صرخات (شريف) البالغ السابعة من عمره، تجنبًا لفقد السيطرة على المركز كافة.

ورغم الصرخات غير المتوقفة داخل قاعة الرسم إلا أن الأطفال شعروا بقليل من الاستقرار النفسي فور دخول الدكتورة (علياء) إلى القاعة بخطوات هادئة ومسرعة في

الوقت ذاته متجهة نحو الأريكة، محاولة المرور في طريقها على كل الأطفال لبث في قلوبهم الطمأنينة، لتجلس أخيرًا على الأريكة وتقوم بلف ذراعيها بقوة حول (شريف) غير المتوقف عن المقاومة، محاولاً التحرر من (علياء)، لكن ذراعيها أقوى مما تبدو عليه، لتبدأ الهمسات تدخل إلى أذنه فتهدأ الصرخات ليسمع الكلمات.

علياء: شريف... شريف، افتح عينيك فكل ما تراه في عقلك غير حقيقي، انظر وسترى الحقيقة.

ليفتح (شريف) عينيه الممتلئة بالدموع بعد أن هربت الصرخات بعيدًا، ليرى قاعة الرسم الكبيرة والمزهرة بالألوان والرسومات التي رسمها الأطفال، وأدوات الرسم الموجودة على الحائط ، ليجد كل فرد عامل بالمركز جالس مع طفلين على طاولة واحدة لتعليمهما كيفية الرسم والتحاور معهما وتحاور الأطفال مع بعضهما البعض وتنمية مواهبهما.

علياء: انظر لكل شيء حولك، انظر جيدًا، وابدأ عد الأطفال الموجودين بالقاعة، ثم الكبار، الأقلام والأرفف الموجودة، عدد الأنفاس الداخلة والخارجة منهم، ابدأ بالتدقيق في كل حركة بالمكان، هل تظن أن الناس ستؤذيك؟ الحقيقة أن من سينقذك دائمًا الناس نفسهم، عند أي خوف تشعر به دقق النظر في تفاصيل ما حولك، قم بتحليل الإنسان الموجود أمامك لكي تقضي على خوفك.

يفتح الشاب (شريف) عينيه ليجد نفسه مستلقيًا على أريكة داخل مكتب الرائد (سليم).

شريف: أريد إنسانًا.

قناع القوة

رغم عدم معرفة العميد (راجح) بهوية (شريف) أو سبب دخوله للقسم، إلا أنه تيقن من أشياء كثيرة، من أهمها أن (شريف) سيكون مصدر إلهاء للرائد (سليم) أثناء تحقيقه في قضية السرقة، وهذا ما حدث بالفعل، فنظرة التعجب على وجه (سليم) ومن معه بالمكتب كانت واضحة ودالة وتنم عن الحيرة، حيث نهض (شريف) من على الأريكة وأخذ يتجول في جميع أنحاء الغرفة، يتمتم بكلمات غير مسموعة أو حتى مفهومة، ناظرًا إلى كل ذرة غبار في المكتب، مما جعل الغرفة بالكامل في حالة توتر.

على الرغم من تحركات (شريف) الغامضة المثيرة للتوتر، إلا أن (سليم) بخبرته وذكائه استطاع التغلب على هذا الشعور سريعًا واستغلاله أيضًا، فمن المطلوب حقن صدر المتهم بالتوتر حتى يصعب عليه الكذب.

سيد: أقسم لك أني لم أسرق شيئًا.

سليم: كفى مراوغة يا حيوان، أليس هذا حذاءك الذي وجدناه داخل المنزل؟

سيد: إنه حذائي القديم بالفعل، لكنه متهالك وأقسم لك أني ألقيته في القمامة منذ عدة أيام.

سليم: سأصدق كذبتك، لكن ما هي كذبتك الثانية بخصوص هويتك الشخصية التي وجدناه بجانب الدولاب الذي كان يحتوي على مجوهرات.

سيد: لكني لست...

سليم: وأريد كذبة أخرى بخصوص منديلك المستخدم في تخدير (نعمة) الخادمة.

سيد: يا باشا، لم أرَ من (راجح) باشا أي سوء لأسرقه، حتى (نعمة) كانت دائمًا تأتي لتقدم لي الطعام فلماذا أقوم بما تتهمني به؟

سليم: أنا لا أتهمك بالباطل، هل تريد إثباتًا، ها هو خاتم زوجة (راجح) باشا وجدناه أسفل فراشك، هل انتهيت من كذبك أم تحتاج بعض الوقت؟

يبدأ (سيد) بالبكاء الشديد ليهجم على يد (سليم) لتقبيلها يطلب منه الرحمة، لكن الحيل القديمة والدموع

الباردة أصبحت شيئًا دميمًا لصدر (سليم) مما أثار غضبه، ليمسك (سيد) بقبضته صارخًا في وجهه.

سليم: وحياة أمك، إن لم تخبرني مكان المجوهرات المسروقة لن يرى وجهك ضوء الشمس حتى بعد موتك.

يأمر (سليم) العسكري (شعبان) بأخذ المتهم إلى المخبرين لتقديم له واجب الضيافة الخاص بالمتهمين الرافضين الاعتراف بجريمتهم، بتوصية خاصة جدًّا من العميد (راجح) شخصيًا.

يمسك (شعبان) ذراع (سيد) ويسحبه خارج المكتب ثم يغلق باب المكتب، ليخلع (سليم) قناع الغضب فيظهر وجهه الطيب بنظرة عطف، يراقب خطوات (شريف) التي لم تتوقف حتى بعد خروج المتهم، وخبرة (سليم) تحذره من الاقتراب من شاب مريض بالتوحد حتى لا يواجه رد فعله العنيف، لذا فضل التزام الصمت والصبر حتى يهدأ هذا الغريب، لينهض (سليم) من على الكرسي، واقفًا أمام النافذة مشعلًا سيجارته، لتمر أمام عينيه الذكرياتُ الأليمة التي خرجت من قبرها منذ رؤية هذا الشاب ، فكادت عين الرائد الغاضب أن تدمع من ألم ما حدث له من قبل، لكن سرعان ما أحرقت السجائر أصابعه لتذكره بالمكان المحرم فيه الدموع، خاصة للضابط نفسه، المكان الذي يجب أن يستخدم الضابط العقل بلا قلب أو مشاعر، فلا مجال للضباط الناعمة القلب

هنا، ليلقي (سليم) سيجارته من النافذة ملتفتًا إلى الخلف ليرتدي قناع القوة مرة أخرى الذي كاد أن يسقط منه فور رؤية الشاب الذي انتهى من حركته وقرر الجلوس على أحد الكراسي الموجودة أمام مكتب الرائد (سليم)، لكن فضل الرائد ألا يجلس على كرسيه ليجلس على الكرسي المواجه لهذا الشاب، محاولًا العثور على عين (شريف) حيث يفضل (سليم) مواجهة الأعين أثناء الحديث لكن ما يفضل لا تفضله عين (شريف) التي تتحرك في كل اتجاه كعادتها ناظرة إلى تفاصيل المكتب.

شريف: آسف، لا أحب صافرة الشرطة.

سليم: لماذا لا تحبها؟

بدأ (سليم) بعدة أسئلة لم تلقَ الترحيب من (شريف)، لذلك فضل الصمت الذي أزعج (سليم).

سليم: أرني بطاقتك الشخصية؟

شريف: لماذا؟

سليم: ده أنت لمض ؟

شريف: ما معنى لمض؟

سليم: لمض يعني. يعني... ماذا أتى بك إلى هنا؟

شريف: أنا هنا أبلغ عن جريمة قتل.

سليم: قتل؟ هل تعلم ما معنى جريمة قتل؟

شريف: أنا أعلم معنى جريمة قتل.

سليم: هل رأيت المعتدى عليه؟

شريف: لا.

سليم: إذن هل رأيت القاتل، أو على الأقل هل سمعت أحدًا يحرض على القتل؟

شريف: لا.

سليم: هل تعاني من مرض ما قد يصيب ببعض التخيلات؟

شريف: أنا مصاب بمرض التوحد و savant syndrome، وهما غير مسببين لأي أوهام أو تخيلات... أنا هنا لأبلغ عن جريمة قتل، ابدأ التحقيق في الجريمة.

توصل (سليم) إلى الكلمات التي انتظرها، والحقيقة التي تأكدت أخيرًا، بمجرد معرفة إصابة الشاب الجالس أمامه بمرض التوحد نهض من على كرسي الضيف ليعود إلى كرسي الضابط ويظهر على وجهه تعابير مليئة بالإحباط والعطف على المريض الذي أمامه وبعض من السخرية من الهلاوس التي يراها في مخيلته، ليبدأ الاتصال بزميله في العمل الرائد

(حسام) لتولي هذه الحالة المريضة التي جالسة أمامه، فلا يملك الوقت لسماع جريمة من وحي الخيال، أو حتى الوقت لمعرفة أي تفاصيل من عالم آخر، لكن اللباقة التي يتمتع بها الرائد كانت لا بأس بها، فيعتذر إلى الشاب من تولي التحقيق في جريمة القتل الوهمية، معللًا تولية قضية سرقة منزل رئيس المباحث.

بالفعل بدأ (سليم) بالاتصال بـ(حسام) لاستقبال المريض، لكن سرعان ما أنهى (سليم) المكالمة، منصتًا بعناية بالغة لما يقوله (شريف).

شريف: (سيد) ليس السارق.

سليم: ماذا تعني؟

شريف: أنت تحقق في جريمة سرقة منزل (راجح)، (سيد) المتهم الأول والوحيد...(سيد) ليس السارق، الآن هل من الممكن التحقيق في جريمة القتل؟

سليم: أنت فقط متعاطف مع براءة وجه المتهم ودموعه الزائفة، لكن الأدلة تؤكد بأنه السارق ولا يمكن...

شريف: أنا أعلم السارق الحقيقي.

❀ ❀ ❀

حالة إحباط

رغم توحيد النظم القوانين الملزمة على جميع المواطنين بفئاتهم المختلفة ومحافظة الشرطة على إتباع القوانين والإشراف على تنفيذها، إلا أن النظام الداخلي الخاص بكل قسم شرطة يختلف من مكان إلى آخر طبقًا للنظام الأمني للمكان، حيث اتبع كل من في القسم النظام الأمني للدخول والخروج الذي تم وضعه من قبل العميد (راجح)، فنظرًا للظروف الأمنية المضطربة في السنوات السابقة، والعمليات الإرهابية التي استهدفت الداخلية، كان من الضروري منع تواجد أي سيارة حول محيط القسم مع منع دخول أي سيارة لأي مواطن عادي، حتى ولو كان صديقًا شخصيًا للعميد (راجح)، مع الفحص الدقيق لجميع سيارات الشرطة والضباط لتجنب تواجد أي متفجرات ولزيادة الاطمئنان، يمنع توقف أي سيارة أمام الباب الداخلي للقسم على الإطلاق، حتى أثناء دخول العميد (راجح) بسيارته تتوقف السيارة أمام الباب الرئيسي

لإنزاله فقط ثم تتجه السيارة إلى ساحة الانتظار مخصصة لسيارات الشرطة. فكل شيء في مملكة (راجح) يسير طبقًا لقوانينه.

يفتح العساكر أبواب القسم على مصراعيها قبل وصول السيارة الحمراء بمجرد رؤيتها قادمة، فالكل على علم مدى تهور قائد السيارة، مدركين القدرة على تحطيم بوابات القسم مستخدما الميني كوبر، حتى أن قائد السيارة هو الشخص الوحيد الذي يقف بسيارته أمام القسم مباشرة أو حتى أمام أي مبنى أمني في البلد كافة، ليظن المارة أن الخارج من السيارة الأعظم شأنًا في البلاد، ليندهش من لا يعلم السيارة بخروج (سمر) ولا أحد سواها، بملابسها البسيطة وشعرها غير المهندم ونظارتها الطبية الكبيرة.

بمجرد وصول (سمر) إلى داخل القسم يبدأ العساكر أمناء الشرطة بإلقاء التحية الرسمية لها، حتى الضباط يبتسمون لها، بعضها ابتسامات صادقة لتواضعها وروحها المرحة وجنون عقلها، وغالبيتها خوفًا من نفوذها اللامحدود.

ينهض الأمين (صبحي) من على مقعده مسرعًا إلى (سمر) لمساعدتها في أخذ الملفات التي تحملها، لكنها تفضل حمل الملفات بنفسها شاكرة مجهوده بنظرات حزن.

صبحي: ما بك يا دكتورة؟

سمر: محبطة جدًا.

صبحي: محبطة؟ خيرًا إن شاء اللّه؟ هل الباشا بخير؟

سمر: هل تقصد أبي؟ لا إنه بخير، أنا محبطة من العمل.

صبحي: لأنك يا دكتورة تعملين في مكان غير مناسب لمنزلتك العالية، فهل يعقل لابنة أكبر باشا أن تقوم بتشريح الجثث والموتى.

سمر: لا أحد يفهم ما في خاطري.

صبحي: منكم نستفيد.

سمر: سأخبرك سرًا، المجرمين تابوا.

صبحي: تابوا؟ لا أفهم يا دكتورة.

سمر: هذه الحقيقة، في الماضي كانت الجريمة كاملة، مخطط لها بتأنٍ وترو، من الصعب على أي شرطي حل لغزها، أما الجثث القادمة لي إما عراك بالسكاكين وإما زوجة ذبحت زوجها، شيء ممل ولا وجود للابتكار، هل فهمتني؟

صبحي: لا.

سمر: hopeless... سليم باشا في مكتبه؟

صبحي: نعم، تفضلي.

سمر: عم صبحي، إذا تريد قتل أحد ما أستطيع أن أساعدك في وضع خطة في غاية الذكاء لن تستطيع الشرطة معرفة القاتل.

عندما وجدت (سمر) أمامها (صبحي) في حالة تجمد مذهولاً مما قالته ويضرب كفًّا على كف، تركته وذهبت متعجبة من حالة الذهول غير المعلوم سببها، لتعود إلى حالة الحزن والإحباط من الجرائم التي تراها مملة، لترفع حاجبها الأيمن بابتسامة ماكرة فور فتح باب مكتب (سليم) لتجد (شريف) جالسًا وحده ولا وجود لـ(سليم) بالمكتب.



ابتسامة مبهمة

يجلس (راجح) في مكتبه متوترًا أثناء مكالمته الهاتفية، أثناء مكالمته للحكومة الغاضبة مما حدث في المنزل، فعدم إيجاد المجوهرات حتى الآن قد يسبب له الطرد من منزله، رغم تصبب عرقه يحاول (راجح) تهدئة الأمور مع الحكومة، الاسم الحركي المكتوب لزوجته، والذي يقسم لها أن المباحث تعمل على قدم وساق من أجل مجوهراتها وبالأخص خاتم حماته.

يهدأ توتر العميد قليلًا ليس بسبب هدوء زوجته، حيث أن مهمته فشلت في هذا الأمر، ولكن لمجرد إنهاء المكالمة معها، داعيًا الله أن يخلصه من زوجته وحماته في وقت واحد. فيبدأ باحتساء قهوته التي أصبحت باردة مُشعلًا سيجارة أخرى محاولًا إزالة التوتر تمامًا، فيشعر بعودة الأمل من جديد بمجرد دخول (سليم) إلى مكتبه، لكن سرعان ما يتحول الأمل

إلى تعجب وريبة من ابتسامة (سليم) المبالغ فيها ونظرته البلهاء، فيجلس (سليم) أمام العميد دون تغير ملامح وجهه الحمقاء، ليتراجع (راجح) إلى الخلف بحذر.

راجح: هل أنت بخير يا بني؟

سليم: الحمد للّه.

راجح: هل يوجد أخبار جديدة؟

سليم: طبعًا.

راجح: هل اعترف بجريمته؟

سليم: لا.

راجح: إذن اعترف بمكان المجوهرات.

سليم: لا.

راجح: هل يوجد ما يعيق لاستكمال التحقيقات؟

سليم: لا على الإطلاق.

كانت ابتسامة (سليم) الغبية سببًا كافيًا لإثارة غضب (راجح)، لكن إجاباته هي أطلقت بركان الغضب بداخل العميد، لينهض من على كرسيّه ناظرًا إلى (سليم) في احتقار وغضب.

راجح: ما بك يا سيادة الرائد؟ هل أتيت إلى هنا للترفيه عن نفسك؟ تدخل مكتبي بابتسامة حمقاء تاركًا القضية وكأنني صديق لك في المقهى، هل جننت؟

لم يتأثر (سليم) بموجة الغضب العارم من رئيسه بالعمل، لم يستطع إزالة الابتسامة الملتصقة بفمه، لينهض (سليم) من على كرسيه في هدوء شديد.

سليم: سيادة العميد، أعتقد من الأفضل أن تشرفني في المكتب حالًا.





النتيجة النهائية

جلست (سمر) أمام (شريف) ناظرة إليه في حذر وشك، بينما ما زال (شريف) ناظرًا إلى كل نقطة داخل المكتب وفازت (سمر) ببعض نظرات (شريف) ليبدأ تحليل شخصيتها طبقًا لما يراه أمامه.

سمر: هل أنت من عائلة (سليم)؟

شريف: لا.

سمر: صديقه؟

شريف: لا.

سمر: من مصلحة الضرائب؟

امتنع (شريف) عن سؤال (سمر) الأخير إذا كان متهمًا، ليزداد الشك في قلب (سمر) مما يزيد حماستها، فتأخذ

سيجارة من علبة (سليم) الموجودة على المكتب، محاولة التحقيق معه.

سمر: لص أم قاتل؟

شريف: أنا لست لصًّا، أنا لست قاتلًا.

سمر: لكنك اعترفت بأنك متهم.

شريف: لم أعترف أني متهم.

سمر: سكوتك يعني أنك متهم.

شريف: بالنسبة لأي ضابط، يصبح الجميع متهمين.

سمر: لقد احترمت وجهة نظرك.

تحاول (سمر) مصافحة (شريف) لكنه يمسك يده غير مصافح ليدها الممدودة، فيشعر ببعض التوتر، فطبقًا لقوانينه لا يصافح شخصًا غريبًا على الإطلاق، لكنه يشعر براحة نفسية من وجود (سمر) أمامه، سرعان ما تنتهي التساؤلات داخل عقله، فور دخول (راجح) ومن خلفه (سليم)، لتقذف (سمر) السيجارة من النافذة خوفًا من رؤية العميد لها.

سمر: كيف حالك يا عمي؟

راجح: كيف حالك يا بنيتي؟ أتمنى أن يكون الوالد بخير؟

سمر: الحمد لله.

سليم: ماذا تفعلين هنا؟ ألم أقل لك من قبل ألا تدخلي مكتبي دون إذن؟

سمر: أترى يا عمي معاملته الجافة؟ أنا هنا لأعطيك تقرير الطبيب الشرعي بنفسي.

راجح: رفقًا بالدكتورة يا سليم، معاملتك ستسبب لنا المشاكل مع سيادة اللواء.

سليم: تمام سعادتك.

يتعجب (راجح) من جهله السبب الرئيسي لوجوده داخل مكتب (سليم)، ليزداد تعجبه من وجود (شريف) داخل المكتب، حيث أنه اعتقد أن (سليم) انتهى من أمر هذا الشاب الغامض، لينهي (سليم) جميع التساؤلات فور رجائه البسيط وهو جلوس سيادة العميد للاستماع إلى ما سيقوله (شريف)، حتى أنه رفض الإجابة على سؤال العميد وهو محاولة معرفة العلاقة بين (شريف) وقضية السرقة، واستمر في طلبه لجلوس (راجح)، فما كان للعميد سوى الجلوس لكشف الستار عن غموض (سليم).

يجلس (راجح) على الأريكة وبجانبه (سمر) الممتلئة بالفضول، ليجلس (سليم) على الكرسي الموجود بجانب الأريكة، ليقف (شريف) أمامهم في صمت.

سليم: هل من الممكن إخبار سيادة العميد ما قلته من قبل؟

شريف: لماذا؟

راجح: من الأفضل الإجابة دون مراوغة يا هذا.

سليم: أرجوك يا سيدي، دعني أتولى الأمر. يا شريف لقد قلت لي من قبل أن (سيد) بريء!

شريف: بالضبط.

سليم: هل بإمكانك إخبارنا دليلك.

شريف: أولًا، لم يقفز (سيد) من سور المنزل لعدم وجود أي جروح في ذراعيه أو قدميه ناتجة من شجر الجهنمية المزروع في كل أركان السور كالجروح الموجودة بيدك يا سيادة العميد، إضافة إلى ذلك عدم وجود أي آثار طين أو عشب على قدميه، فلا يوجد على جسده سوى تراب موقع البناء المتكون من الأسمنت والرمل، وهذا دليل على تواجده في الموقع طوال الوقت. ثانيًا عدم وجود أي آثار أقدام داخل المنزل دليل على نظافة السارق. ثالثًا رغم تحطم زجاج باب المطبخ الخلفي لكن لم يسمع أحد في المنزل صوت التحطم، التحليل العلمي هو أن السارق قام بوضع شريط لاصق على الزجاج لكتم صوت تحطيم الزجاج، وللتأكد من عدم سماع الاقتحام، تم وضع وسادة من الداخل حتى تتساقط شظايا الزجاج عليه.

رابعا، على الرغم من وجود خزينة سيادة العميد بالدور الأرضي، لم يتم سرقة شيء سوى المجوهرات .

النتيجة النهائية (نعمة) هي المتهم الأساسي، قامت بأخذ الحذاء القديم من مخلفات الموقع، ثم بدأت بالدخول إلى غرفة (سيد) لإبهاره ببعض الطعام أكثر من مرة، وفي يوم إتمام السرقة قامت بسرقة بطاقة (سيد) الشخصية ومنديله القماشي، ثم ألقت الخاتم التي سرقته أسفل فراشه ليكون دليل قاطع على اتهامه.

بدأت عملية السرقة قبل دخول صاحبة المجوهرات إلى غرفتها، من الطبيعي أن تكون الخادمة محل ثقة، لذلك قامت بسرقة المجوهرات قبل دخول صاحبة المجوهرات إلى غرفتها، وبعد خلود الجميع للنوم قامت بكسر باب المطبخ مستخدمة وسادتها الشخصية، الدليل على ذلك وجود بعض شظايا الزجاج الصغيرة على شعر الخادمة، مع ملاحظة احمرار اليدين بسبب الحساسية من نشأة الذرة والذي يتم وضعه دخال القفازات الطبية لإخفاء البصمات. قامت الخادمة بإلقاء حذاء (سيد) القديم، وأخفت المجوهرات في حفرة مستخدمة يديها العاريتين، وهذا واضح من الطين المتواجد بين أظافرها بالإضافة إلى الطين الجاف الموجود على ثيابها، ونتيجة لعدم وجود أي عشب أخضر مختلط بالطين المتواجد على ثيابها، إذن هذا يدل على أنها قامت بوضع المجوهرات

وقفاز عملية السطو في شنطة بلاستيكية ودفنها في تربة خالية من العشب بالقرب من باب المطبخ الخلفي، على الأرجح منطقة مزروع بها نباتات الصبار. دخلت الخادمة إلى المنزل وقامت بتقييد نفسها بالشريط اللاصق مستخدمة أسنانها والتي مازالت تحتوي على بقايا المادة اللاصقة، لتضع على منديل المتهم مادة (هالوثان فارك) المباع في جميع الصيدليات بمبلغ خمسة وأربعون جنيهًا، لتقوم بتخدير نفسها فتغيب عن الوعي ويقع المنديل على الأرض بجانب السرير النهاية.

يستمتع (سليم) بنظرات الدهشة والوجوه المصابة بحالة ذهول الجالسة بجانبه، فيتوجه (سليم) إلى مكتبه ليحضر الحقيبة البلاستكية واضعًا إياها أمام العميد (راجح)، مؤكدًا لرئيسه في العمل بأنه تم إيجاد المجوهرات في حوض الصبار الموجود بجانب الباب الخلفي للمنزل، مؤكدًا صحة ما قاله (شريف) من تفاصيل.

سمر: هل تتزوجني؟

شريف: لا شكرًا.

يتحول وجه (راجح) المندهش إلى وجه غاضب دون إبداء أي سبب، لينهض من على الأريكة شاكرًا (شريف) لمجهوده بوجه يخلو من الابتسامة، ليزداد الغضب عندما تتحرك عينيه في اتجاه (سليم).

راجح: سليم، أريدك في مكتبي حالاً.

سليم: تمام يا افندم.

يخرج (راجح) ومن خلفه (سليم) إلى خارج المكتب، بينما تحاول (سمر) المجنونة إقناع (شريف) بالزواج.

سمر: والدي يمتلك الكثير من المال، فكر مليًا في الزواج.

❧ ❧ ❧





أخطاء الهواة

أدرك سيادة العميد في نهاية الأمر سبب ابتسامة (سليم) البلهاء فإنها ليست نتيجة لحماقات تتجول في عقله، إنما نتيجة لتحليل (شريف) المذهل لأي شخص كان، فلا يستطع أي ضابط أن يقوم بحل لغز القضية، أو على الأقل في هذا الوقت القياسي، الأمر الذي كان سببًا في سعادة (سليم) للقبض على الجاني الحقيقي.

راجح: هل جننت يا سيادة الرائد؟ كيف ترتكب هذه الحماقة وتجعل مواطن يقوم بالاطلاع على ملفات القضايا الخاصة بنا؟

سليم: لم أفعل يا سيدي، لقد كان الملف الموضوع على مكتبي مفتوحًا على صفحة معاينة الحادث .

راجح: وهل تريد إقناعي أنه قام بهذا التحليل بالكامل من مجرد سطور من ورقة؟

سليم: لقد كان الأمر أمام عينيك، وأيضًا...

راجح: وكيف تقع في أخطاء الهواة لتترك ملفات قضيتك مفتوحة أمام المارة، وكيف تصرح له بالتدخل في عملنا؟

سليم: الموضوع....

راجح: الموضوع أخطر مما تتخيل يا أستاذ، لقد انبهرت بشيءٍ لم تره في حياتك كالأطفال الصغار عندما يشاهدون فقرة الساحر، حمدًا لله أنها قضية خاصة بنا من السهل التستر عليها إعلاميًا.

سليم: ماذا تعني يا سيدي؟

راجح: أعني أيها الغبي أنه في حالة معرفة الصحافة بهذا الأمر، ستكون عناوين الأخبار غدًا أن الداخلية لا تقدر على حل قضيتها، فتستعين بأشخاص أكثر ذكاءً من الداخلية الغبية، هل هذا ما تريده؟

رغم كلام (راجح) المقنع، أخذ (سليم) وقتًا طويلًا للتفكير في هذه الكلمات المهتمة بمظهر الشرطة وغير مهتمة بالحقيقة على الإطلاق، عاد الرائد إلى أرض الواقع عندما سأله (راجح) عن هوية هذا الشاب.

سليم: شريف هشام عبد الحميد هدهد، ابن هشام هدهد رئيس تحرير جريدة الحقيقة الذي توفي في حادثة سيارة عام

٢٠٠٠، أما والدته قد توفيت قبل ذلك بعدة سنوات، قام (محسن النجار) بتربيته ورعايته، لكن منذ ثلاث سنوات قرر (شريف) الاستقلال بنفسه، يعمل في جريدة....

راجح: صحافي؟

رغم مثابرة (سليم) في الدفاع عن (شريف) أمام رئيسه، إلا أن هجوم (راجح) الشرس والشك في (شريف) الذي لم يغادر عقله، ليقوم بسرد عدة افتراضات في غاية الخطورة، أما الافتراض الأول أن هذا الشاب من السهل أن يتحدث عن هذه القضية بنية طيبة أمام بعض الصحافيين المعارضين لنظام البلد مما قد يثير أزمة في وزارة الداخلية بأكملها، لكن الدفاع لم يستسلم لليأس معللاً أنه في بعض الأحيان تستعين الشرطة ببعض الخبراء للاستشارة في بعض القضايا، رغم أن (سليم) على يقين من الإجابة.

راجح: الخبراء يا أفندي، يتم اختيارهم بدقة متناهية بعد التحقق من هويتهم وتاريخهم وميولهم السياسية.

لم يجد (سليم) طريقة للدفاع سوى الهجوم لمواجهة سيادة العميد بالسؤال الرادع، هل المهم للضابط الحقيقة أم المظهر العام، ليجيب سيادة العميد دون أي تردد أن الأهم للضابط هو المظهر القوي والمخيف حتى لا تصبح الشرطة كالشاة تأكلها الذئاب. لم يتوقف (راجح) عن كلماته الهجومية ليقذف ببعض الكلمات التي افترست دفاع (سليم).

راجح: إذا افترضنا أن هذا الشاب عبقري بالفعل، ألم تتعجب ظهوره في هذا الوقت بالذات، وترك كل القضايا السابقة لحل قضية خاص برئيس المباحث، لماذا لم تفكر للحظة أن يكون هو المخطط لهذه السرقة؟

خضع (سليم) أخيرًا لنظرية (راجح) التي أثارت الشك في قلبه الأمر الذي دفعه لسؤال أستاذه لمعرفة المنفعة التي قد تعود على (شريف) إذا كان بالفعل العقل المدبر للسرقة، لكن الإجابة كانت صادمة.

راجح: لمعرفة أسرارنا بالطبع، بالتأكيد هذا أول شخص تراه بهذا القدر من الذكاء، لكني رأيت مثله من قبل.

يسود الصمت للحظات في المكتب من كليهما، أما (سليم) كان يحاول فهم هذه الإجابة الغريبة، ناظرًا إلى (راجح) المشعل سيجارته للتهرب من الكلمات التي أزيحت من على صدره بطريق الخطأ، لكن تظهر الإجابة على وجهه، فقد كان شارد الذهن للحظات في شيء غامض قد حدث له بالماضي لا يعلمه أحد.

راجح: أريد التحقيق مع هذا الفتى ومعرفة كل شيء عنه.

سليم: اسمح لي باقتراح يا سيدي، فلقد تعلمت منك الذكاء والحكمة، وأعترف بأنك على صواب في كل ما قلته، لكن أليس من الأفضل أن نضع هذا الفتى تحت المراقبة لحظة بلحظة، لمعرفة نواياه إن كان صادقًا، وإن كان كاذبًا سنعلم المخطط الحقيقي لهذه الفعلة والهدف من اختراق الشرطة؟

يسود الهدوء مرة أخرى لكن لفترة أطول مما سبقت، حيث كان اقتراح التلميذ أكثر حكمة من قرار الأستاذ، لكن من الصعب على ذي القدر الكبير والشأن العالي أن يعترف بهذا الأمر.

راجح: ما هو سبب مجيء هذا الشاب إلينا في بادئ الأمر؟

لم تكن المفاجأة بالنسبة لـ(راجح) معرفة سبب وجود (شريف) للقسم، فيعتبر الإبلاغ عن جريمة قتل من الأعمال اليومية الروتينية بالنسبة للمباحث، لكن المفاجأة كانت في الضحية، فهو على يقين أن الكاتب (نادر شوقي) قد توفي إثر أزمة قلبية.

سليم: هذا كل ما أخبرني إياه، لم يخبرني بأية تفاصيل ، ما هي أوامرك يا سيدي؟

لم ينتظر العميد لحظة للتفكير ليأمر (سليم) بتقصي الحقيقة ومعرفة كافة التفاصيل على أن يقوم (سليم) بإبلاغه بكافة المستجدات لحظة بلحظة، فلم يتردد (سليم) أيضًا للحظة ليؤدي التحية العسكرية لرئيسه ليمضي لتنفيذ الأوامر.

راجح: تذكر يا سليم ليس من الحكمة أن تخلط بين عملك كشرطي وحياتك الشخصية.

الدليل

يجلس (شريف) مكانه متأملًا مكتب الرائد في فضول دون ملل وكأنه يراه للوهلة الأولى، بينما تجلس (سمر) بسيجارتها أمامه في دهشة شديدة من تحليل هذا الشاب لقضية السرقة بمنتهى الدقة والمهارة، لم ترَ مثل هذا الذكاء من قبل، حتى في أفلام هوليوود، على الرغم من محاولة عقلها فهم هذه الشخصية الفريدة من نوعها الجالسة أمامه، إلا أن فمها مطلق للترهات دون توقف، لم تتوقف عن طرح الأسئلة السخيفة والمجنونة محاولة معرفة سبب الذكاء الخارق الذي يتمتع به (شريف)، لتفترض في بادئ الأمر بأنه من أحفاد (أجاثا كريستي) أو (شيرلوك هولمز)، أو سقوط نيزك عليه فيكتسب قوى خارقة، ربما قادم من المستقبل. الكثير من الأسئلة اللامنطقية التي تشكك في قوى (سمر) العقلية، لكن ما تعجبت منه بالفعل أن (شريف) لم يمل من أسئلتها بل أجاب عليها كلها دون سخرية، الأمر الذي لم يجعلها تتوقف عن السؤال.

سمر: هل أنت على يقين بأنك لا تريد الزواج؟

لم يجب (شريف) عن هذا السؤال مستغلًا دخول (سليم) المفاجئ الذي جعل (سمر) ترتعد، ملقية سيجارتها من يدها، فيضحك (سليم) سخرية من الطفلة الصغيرة التي تدخن خلف الأبواب المغلقة خوفًا من والدها، فتحاول إنقاذ صورتها أمام (شريف) لتعلل أنها لا تقوم بالتدخين أمام والدها أو أصدقائه من باب الأدب لا أكثر. لم يملك (سليم) الوقت لسماع وجهة نظر (سمر) الساذجة، فيأمرها بالتزام الصمت لعدة دقائق.

سليم: فلتخبرني الآن يا (شريف) ما تعرفه عن (نادر شوقي)؟

سمر: ما به عمي (نادر)؟

سليم: ألا تعلمي أنه توفي ليلة أمس؟

سمر: بالطبع أعلم، لكني ظننت أن شيئًا آخر حدث له.

سليم: يا دكتورة أريد أن ضيف إليك معلومة من الممكن أن تفيدك، لا يصاب المرء بأي كارثة أكثر من موته.

شريف: مقتولًا.

سمر: ماذا؟

سليم: يا (شريف) لا يجوز الافتراض دون الدليل، هل تملك الدليل؟

يبدأ (شريف) بفتح حقيبته لإخراج اللاب توب وبعض الصور التي قام بطباعتها، ثم ينهض من على كرسيه حاملًا اللاب توب ليقف يسار (سليم) الجالس على كرسيه بينما يدفع فضول (سمر) الوقوف على يمين (سليم) ، يبدأ (شريف) بعرض فيديو حفلة توقيع المؤلف الكبير، والذي يظهر جلوس (نادر شوقي) على المنصة بينما يجلس الحاضرون في صفوف أمامه، يظهر (نادر) في بادئ الفيديو وهو يقرأ بعض الصفحات من روايته بصوته القوي، واضعًا سبابته في لسانه مبللًا إصبعه ليقلب صفحات الرواية، يظهر الشيء غير الملحوظ لأي شخص جالس بجانب الأديب الكبير، وهو بعض الاحمرار في وجنتي (نادر)، بعد دقائق تظهر حركة طبيعية بالنسبة لأي شخص، حيث قام الأديب أثناء الحفلة بوضع يده على جبهته متوقفًا للحظات عن قراءة سطور روايته، لكن مع مرور الوقت، الشيء الذي تفاجأ به الجميع هو محاولة (نادر) للنهوض من على كرسيه ليصاب بشلل في ساقه اليسرى فينتهي التسجيل بسقوط (نادر) على الأرض مفارقًا للحياة.

شريف: النهاية.

سليم: ماذا تقصد بالنهاية؟ كما ترى أمامك لقد توفي الرجل دون أن تلمسه بعوضة.

لم يبدأ (شريف) بسرد نظريته أو تحليله، حيث يظن أن رؤيته الثاقبة مجرد نظرة عادي وبسيطة للغاية، من السهل على أي شخص رؤية ما يراه، فيبدأ (شريف) بإعادة الفيديو لمشاهدته مرة أخرى، لكن هذه المرة يحاول كل من ضابط المباحث وخبيرة الطب الشرعي التعمق في المشاهدة للوصول إلى الحلقة المفقودة، لكن انتهى الفيديو دون جدوى، الأمر الذي أثار غضب (سليم) لمجرد شعوره بالغباء.

سليم: ما عاد في قوس الصبر منزع يا فتى، من الأفضل سرد التفاصيل.

يلتقط (شريف) من الصور المختلفة صورتين للكاتب الكبير مع اختلاف زمن الصور، حيث تم التقاط الصورة الأولى لـ(نادر شوقي) منذ أسبوع في إحدى الحفلات في أحد الفنادق الكبرى، وأما الصورة الأخرى فقد تم التقاطها في حفلة التوقيع ليلة أمس، الأمر الذي لا يعني شيئًا بالنسبة لضابط المباحث، لكن الصورة بدأت بالوضوح قليلًا لـ(سمر) حيث لاحظت فرق طفيف بين الصورتين بالأخص على وجه (نادر) وهو اللون غير الملحوظ ولكنه متواجد في الصورة التي تم التقاطها قبل لحظات من وفاته.

شريف: (نادر شوقي) أصيب باحمرار في الوجنتين والإحساس بدوار شديد وشد عضلي في الساق اليمنى مع ضيق في حدقة العين، النتيجة النهائية تسمم كيميائي.

تبدأ الأمور بالوضوح أكثر من الناحية الطبية بالنسبة للطب الشرعي، لكنها ما زالت مبهمة بالنسبة للمباحث، ليجلس (سليم) في جهل بين العلماء، فتخرج (سمر) من حقيبتها عدسة مكبرة للتدقيق في ملاحظات (شريف) التي رآها بالعين المجردة، لكن من الواضح أن العدسة أثارت انتباه (شريف) ليبدأ بالنظر إلى العدسة الملامسة لوجه (سمر) الأبيض الناعم، فيبسط (شريف) يده أمام (سمر) التي بدأت فهم القليل عن (شريف)، لتضع العدسة في يده على الفور غير ملاحظ نظرة السعادة التي ظهرت على العبقري فور حصوله على العدسة ليبدأ باستخدامها للتأكد من معلوماته المؤكدة. ينهض (سليم) من على كرسيه في حالة غضب شديد، لكن للحظات بسيطة، لتقم (سمر) بتهدئته طالبة منه الجلوس، ليعود (سليم) لموقعه مرة أخرى، منتظرًا التفسير وحل اللغز.

سمر: هنيئًا لك يا حضرة الضابط، وفاة (نادر شوقي) ليست طبيعية، فإنه بالفعل قد قتل.

سليم: هل فهمتِ ما قاله (شريف)؟

سمر: لقد فهمت القليل، لكن اختصارًا لما قال أنها جريمة قتل، يتطلب الأمر تشريح الجثة أو عينة دم.

سليم: بالتأكيد تم سحب عينة دم من المتوفي، طبقًا لنظام المستشفيات.

سمر: بالتأكيد، لكن حالات الوفاة الطبيعية في بعض الأحيان يتم التجاوز عن هذا الأمر.

شريف: أخذ عينة دم من الجسم توضح المادة المسببة للوفاة.

سمر: بالطبع، لكن هناك مشكلة صغيرة.

سليم: ما هي؟

سمر: سيتم دفن الجثة بعد صلاة الظهر، أي بعد ساعتين لا أكثر.

ينظر (سليم) إلى ساعته ليقفز من على كرسيه في حماس، فلقد مضى دهر على تولي قضية بهذا الغموض، لكنه كان على ثقة بأن القضية تحتوي على الكثير من الرموز الغامضة، الأمر الذي جعله مضطرًا سؤال (شريف) للمضي معه إلى المشرحة، ليشعر (سليم) بالحماس الذي انتقل إلى صوت (شريف) فور إجابته بالإيجاب، بالطبع لم يكن مضطرًا لطلب المساعدة من (سمر) التي أقحمت وجودها في القضية.

يتحرك (سليم) و(سمر) متجهين إلى باب المكتب للخروج ومن خلفهما (شريف)، فيخرجان من المكتب في عجله من أمرهما.

سليم: هل من الممكن معرفة... أين هو؟

يتوقف كل من (سليم) و(سمر) حيث لا يجدان (شريف) خلفها، ليعود (سليم) مرة أخرى لمكتبه فيجده واقفًا متجمدًا غير قادر على الحركة، حتى أنه يقاوم (سليم) الذي يحاول إمساك ذراعه وسحبه خارج المكتب لكن دون جدوى، فما زال الخوف من صافرة الشرطة مسيطرًا عليه، فلم يجد (سليم) أمامه سوى وسيلة واحدة للخروج من هذه الأزمة، الوسيلة التي جعلت (سمر) تفر هاربة من السير بجانب الرائد (سليم) والشاب الواضع المنادي في أذنه لتجعله يبدو كالأبله، لتبدأ خطوات (سليم) في الإسراع قليلًا بعيدًا عن (شريف) فور سماع ضحكات السخرية الخافتة، فيتوجه (سليم) إلى سيارته مسرعًا، لتلحقه (سمر) التي كانت تحضر حقيبتها من سيارتها فتجلس بجانبه، ليظهر أخيرًا (شريف) خارج باب القسم متوجهًا نحو سيارة (سليم) الذي يبدأ بالاستعداد للانطلاق بسيارته، لكن سرعان ما يتلاشى الحماس والسبب (شريف) الذي ظل واقفًا أمام الباب المجاور لـ(سمر)، التي تأمره بالجلوس على الأريكة الخلفية بالسيارة، أما هو فلا يملك سوى رد واحد (أنا أجلس بالأمام لا بالخلف)، لتبدأ المشاجرة الطفولية بين الاثنين، فلا يوجد شخص في هذه البلد يملي الأوامر على (سمر) فهي الطفلة المدللة في أجهزة الأمن كافة، لكن لم يكن بالأمر المهم بالنسبة لـ(شريف) الذي ظل واقفًا بجانب باب السيارة منتظرًا جلوسه بجانب (سليم)، الضابط الذي كاد أن يفقد عقله من شجار الأطفال، ليتدخل

بصوت عنيف، ليأمر (سمر) بالجلوس بالخلف لإنهاء هذه المشكلة، جلست (سمر) في مكانها للحظات وعلامات الغضب تظهر على وجهها، لتهدأ حدة صوت الرائد قليلًا.

سليم: رجاءً يا سمر حل هذه الأزمة، الجلوس بالخلف ليس بمشكلة.

سمر: قلت لك مئات المرات لا تقل اسم سمر، أنا أكرهه.

سليم: عزيزتي (سو)، هل من الممكن الجلوس بالخلف.

سمر: أستغفر الله العظيم، أمور طفولية لا أكثر.

تخرج (سمر) من السيارة لتجلس بالخلف وهى في حالة غضب شديدة، ليزداد غضبها، عندما ترى ابتسامة (شريف) البريئة لإحساسه بالسعادة في الجلوس بالمقعد الأمامي، فيحاول (سليم) إخفاء ابتسامته مما يراه، فبجانبه شخص في أذنه مناديل ورقية مبتسمًا ابتسامة غريبة دون سبب، أما من بخلفه غاضبة دون سبب، فيفكر لوهلة أن يتوجه إلى مستشفى الأمراض العقلية لتسليم المرضى الهاربين، ليتذكر أنه يحارب الزمن، فينطلق بسيارته مسرعًا خارج القسم لتبدأ القضية.

البيانو فقط

كان الهدوء يعم داخل السيارة حيث كان هدف (سليم) الوحيد هو الوصول إلى الجثة في الوقت المناسب، لكن الغضب ما زال مستوطنًا في عقل (سمر) أعمال العبقري الطفولية، لكن حالة (شريف) الفريدة جعلته في حالة سكينة خاصة بعد حجب أي تشتت صوتي لعقليته، لم تمنع المناديل الورقية الصوت بدرجة تامة، لكنها كانت كافية للتأمل في الصور المرئية حوله التي يقوم بتخزينها داخل عقله، تلك كانت التجربة التي تعلمها في مركز إعادة التأهيل، بمجرد منع الضوضاء الدخول إلى عقله يسهل رؤية ما حوله بشكل أوضح. كان من الممكن أن يصبح (شريف) من الخبراء العاملين في (ناسا) لقدرته العقلية على فصل الألوان عن الصورة المرئية، وتحويل كل ما يراه من أشخاص أو أشياء إلى مجرد رسومات، ليس مجرد خطوط وهمية في عقله، بل لرسومات ورقية، فيتذكر زيارة بعثة الأطباء من جمعية أطفال التوحد الأمريكية إلى

مركز إعادة التأهيل عندما قام برسم منظور للغرفة بتفاصيل وأبعاد هندسية دقيقة مع رسم الأثاث الموجود بالغرفة من طاولات وكراسي في مواقعها الصحيحة بالغرفة، لكن سرعان ما قام بتمزيق اللوحة عندما لاحظ مراقبة الأطباء له، ولم يقم برسم أي منظور أو رسومات منذ ذلك الحين، ليكتفي بمعرض الرسومات الذهنية المتواجد داخل قلعته العقلية.

يصاب (شريف) بالارتعاد لوهلة عندما قام (سليم) بسحب المنديل الورقي من أذنه، ليعود (شريف) إلى الواقع مرة أخرى بعد أن نظر في المرآة الجانبية للسيارة ليرى وجه (سمر) الجميل يسوده الغضب.

شريف: أعتذر عما بدر مني، لكني لا أحب الجلوس بالخلف.

كان الاعتذار كافيًا لـ(سمر) ليتبخر الغضب، لتهدأ وتظهر الابتسامة على وجهها، ليترسب القليل من الغضب على وجهها عندما يرفض (شريف) طلبها، فإنه لا يحب مشاركة هاتفه مع أحد، فأعادت طلبها في هدوء بابتسامتها المشرقة التي سحرت (شريف) ليكسر القواعد ويعطها هاتفه.

سمر: هل تحب الموسيقا؟

شريف: الموسيقا مزعجة.

سمر: إذن لم تسمع موسيقا من قبل.

شريف: البيانو فقط.

تبدأ (سمر) في تحميل بعض الموسيقا من على الإنترنت، بالأخص الموسيقا التي تحتوي على أوتار البيانو، بدءًا بسيمفونيات (بيتهوفين) وصولًا إلى (ياني) و(هانز زيمر). يستمر (شريف) في تلبية طلبات (سمر)، ليخرج الصور الخاصة بـ(نادر شوقي) ليعطيها لها في اللحظة التي تعيد هاتفه إليه مرة أخرى، ويتفاجأ (شريف) مبتسمًا بسماعات الأذن الكبيرة الحمراء اللون التي أعطته إياه، ليرتديها متفاجئًا؛ لأنه أول مرة يستمع إلى موسيقا فيلم (فورست جامب)، ليشعر بالسكينة ويعود إلى قلعته العقلية التي أضاءت أنوارها من جمال الموسيقا، ليشعر بسعادة أعادته لطفولته.

نظر (سليم) إلى (شريف) المغمض العينين ذي الابتسامة البريئة، كما لمح (سمر) التي تستخدم العدسة المكبرة لتفحص الصور مرة أخرى، ليوسوس الشيطان مرة أخرى إلى (سليم) لحجز المجانين في مستشفى الأمراض العقلية.



المستشفى

رغم سرعة (سليم) الجنونية ووصوله إلى المستشفى في وقت قياسي، إلا أن الشعور بضياع الوقت منه لم يكن يفارق عقله، فلم يملك الوقت للتوقف بسيارته في ساحة انتظار السيارات داخل المستشفى، فيتوقف أمام الباب مباشرة، فأخذ يجر (شريف) الهادئ من ذراعه كجر البعير، فيصل أخيرًا إلى موظف الاستقبال الذي يتعجب من سؤال (سليم) عن مكان المشرحة، فيضطر الإجابة على سؤال ضابط المباحث دون نقاش.

سليم: اتصل على الفور بمدير المستشفى لملاقاته في المشرحة، حالًا.

في اللحظة التي يتوجه (سليم) و(سمر) ومن خلفهم (شريف) إلى المصعد ينفذ موظف الاستقبال الأوامر ليبدأ الاتصال بمدير المستشفى شخصيًا لإبلاغه بما حدث بالتفصيل.

يقتحم الثلاثي باب المشرحة فيتفاجأ الموظف (حسني) بالدخول المفاجئ دون أي تصريح.

حسني: ممنوع يا أستاذ دخو...

سليم: أين توجد جثة (نادر شوقي)؟

حسني: من أنت؟

سليم: الرائد (سليم شاكر)، من أنت؟

حسني: حسني موظف المشرحة يا باشا.

سليم: أريد رؤية جثة (نادر شوقي) حالًا.

حسني: لكنها التعليمات يا سيدي، لا أس....

يصاب (حسني) بالفزع من صوت (سليم) البركاني لتنفيذ أوامره، ليدخل أحد الأطباء وعلى وجهه علامات الغضب للتعدي على ممتلكات المستشفى، ليبدأ التحدث بنبرة غرور وكبرياء.

محمد: ماذا يحدث؟ من أنت يا هذا؟

سليم: هل أنت مدير المستشفى؟

محمد: لا أنا الدكتور محمد حسن، وجاءني اتصال من الدكتور هلال مدير المستشفى لمعرفة سبب هذه الفوضى.

سليم: فوضى؟ لا يهم، أريد رؤية جثة نادر شوقي.

محمد: طبقًا للقوانين، يجب أن تسلم الجثة لأحد أقاربه من الدرجة الأولى بعد الانتهاء من الإجراءات، ولا تبدو لي من أحد أقاربه، الآن اخرج من هنا حالاً.

سمر: لا وقت لهذا الهراء، هل قمتم بسحب عينة من الجثة؟

محمد: من أنتِ للتدخل في شئون عملنا؟

يتدخل (سليم) في اللحظة المناسبة قبل أن يشتعل جنون (سمر) الذي كاد أن يدمر من حولها، ليقوم بالإمساك بـ(محمد) ليتهمه بجريمة التستر على جريمة قتل، ليهرب الغرور والكبرياء تاركًا (محمد) وحده، ليعتذر عن سلوكه، ليبدأ عمل رجل المباحث الذي يأمر (محمد) بالذهاب ركضًا إلى مدير المستشفى يحذره من الخطر الذي قد يصيب المستشفى بالكامل.

يخرج (محمد) من المشرحة، ليقوم (حسني) بتنفيذ الأوامر ليخرج جثة (نادر) من الثلاجة، ليجلس (شريف) متحمسًا على الكرسي الموجود بجانب الجثة خالعًا السماعات من أذنه منبهرًا برؤية الجثة الشاحبة، ومراقبة (سمر) أثناء تفحص الجثة.

سمر: محيط حدقة العين أصغر من الطبيعي بالفعل، تيبس في الساق اليمنى، نظريتك صحيحة يا شريف، لكن ما هي أسباب الوفاة؟

شريف: اضطراب في ضربات القلب و...

سمر: هل تم أخذ عينة دم من الجثة؟

حسني: في الحقيقة لا يتم أخذ عينات من حالات الوفيات الطبيعية.

يدخل مدير المستشفى في ثقة ومن خلفه (محمد) المرتعد، لمعرفة سبب الفوضى التي خالفت جميع قوانين المستشفى.

هلال: ماذا يحدث؟

سليم: من أنت؟

هلال: أنا الدكتور هلال مدير المستشفى.

سليم: الرائد سليم شاكر، مباحث.

هلال: أهلًا بك، لكن هذه ليست الطريقة الصحيحة للتحقيق، ولا بد من موافقتي أولًا.

سليم: وهل عدم أخذ عينة الدم من الجثة طريقة صحيحة؟

هلال: يا سيادة الرائد، يوجد بعض الحالات يتم التغاضي عن...

سليم: لا أريد مراوغة يا دكتور، هل تم أخذ عينة الدم من جثة (نادر شوقي)؟

هلال: هل من إجابة يا دكتور (محمد)؟

محمد: في حقيقة الأمر لم يتم ذلك يا سيدي.

سليم: دكتور هلال ،أحب إبلاغك بوجود شبهة جنائية في موت نادر شوقي.

يحاول (هلال) إخفاء التوتر الذي أصابه، ليطلب من (سليم) الجلوس في مكتبه شخصيًا لحين الانتهاء من التحليل، ومن بعض الإجراءات، لتقتحم (سمر) المناقشة لتطلب سحب العينة وتحليلها في المعمل بنفسها، فيرفض (هلال) دون أي مناقشة، لمجرد الشعور باقتحام مملكته والتدخل في إدارة المستشفى، فيخبر (هلال) بطريقة ودود بأنه يملك السلطة ومن السهل الوصول لأكبر المناصب في البلد لإيقاف هذه المهزلة.

سليم: أعتذر يا دكتور، لكني لم أعرفك على (سمر)، برجاء إخبار الدكتور باسمك الثلاثي.

سمر: سمر عمرو مهران.

لم يستطع (هلال) هذه المرة التستر على خوفه فور سماع اسم (عمرو مهران)، ليقدم اعتذاراته منحنيًا برأسه أسفًا

عمّا حدث، ليأمر مساعده (محمد) بتلبية جميع أوامر (سمر) دون أي مناقشة، ولم تتوقف الاعتذارات إلى سيادة الرائد، مرحبًا به للجلوس في مكتبه شخصيًا، لحين انتهاء سعادة الدكتور (سمر) من عملها، فتبدأ (سمر) بمباشرة عملها، بينما يرفض (شريف) الذهاب مع (سليم) إلى مكتب مدير المستشفى.

سمر: اتركه يا سليم، قد أحتاج مساعدته.



المعمل

بينما ينصب تركيز (سمر) لتحليل عينة الدم باستخدام الميكروسكوب وجهاز الكمبيوتر، يجلس (شريف) يرسم بعقله كافة تفاصيل ما يراه داخل المعمل بدءًا بأجهزة كيمياء الدم، جهاز PCR، جهاز عد خلايا الدم، جهاز صورة الدم، جهاز تحليل الأورام والهرمونات، حتى الثلاجات التي تحتوي على عينات الدم، نهاية بأجهزة الميكروسكوب وأجهزة الكمبيوتر.

شريف: ارتعد (هلال) من اسمك.

سمر: من؟

شريف: دكتور (هلال) مدير المستشفى.

سمر: على الرغم من كراهيتي لاستخدام اسم والدي، لكنها وسيلة لإخافة بعض الناس.

شريف: لماذا؟

سمر: ماذا تعني؟

شريف: لماذا يخاف الناس من اسمك؟

سمر: هل أدركت الاسم بالكامل؟

شريف: اسمك هو سمر عمرو مهران.

سمر: هل تعلم من هو عمرو مهران؟

شريف: أنا أعلم من هو عمرو مهران، أنا أقرأ الجرائد اليومية، لماذا ارتعد (هلال) من اسمك.

سمر: ألم ترتعد من الاسم؟

شريف: أنا لم أخطئ ، هل أخطأ (هلال) ليرتعد؟

سمر: ليس بالضروري، لكن...، أنا لا أعلم سبب خوفه، دعني أشرح الأمر، أنت تخاف من صافرة الشرطة.

شريف: مضبوط.

سمر: لكنك لم تخطئ.

شريف: مضبوط.

سمر: بعض الناس مثلك، يصيبهم الخوف رغم عدم ارتكابهم أي خطأ، أفهمت؟

شريف: نعم، عمرو مهران هو صافرة البوليس.

ظل (شريف) يراقب ضحكات (سمر) التي استمرت بعض ثوانٍ، والتي انتبهت بظهور نتيجة التحليل .

سمر: لحظة... نسبة عالية من الديجوكسين والإيرجوتامين في الدم، أصبت فيما قلت.

شريف: ديجوكسين زائد إيرجوتامين

سمر: بعض المواد الكيميائية المتواجدة في الأدوية التي تساعد في انتظام ضربات القلب، بالطبع تسبب الموت إذا تم أخذ جرعة عالية، لكن... أريد أن أرى الفيديو مرة أخرى.

تشاهد (سمر) لحظة وفاة (نادر) أكثر من مرة بدقة شديدة متعجبة من الأمر، على الرغم من فعالية المواد الكيميائية المميتة، لكن نتيجة التفاعل مع الدم بطئ المفعول، على عكس الفترة الزمنية السريعة للوفاة، الأمر الذي اضطر (شريف) العودة إلى المكتبة.

❦ ❦ ❦



مكتب المدير

يخفي (سليم) السعادة التي كادت أن تغير ملامح وجهه، ليس لمجرد التحقيق في قضية فريدة من نوعها، أيضًا لتغلبه على شكوك رئيسه بالعمل وظهور براءة (شريف)، فما هو سوى مواطن يتمتع بقدر من الذكاء، ظهر دون إبداء أي نوايا خبيثة ليقدم قدراته لمساعدة الشرطة في الوصول إلى الحقيقة. كادت السعادة أن تحجب ملاحظته لرعشة أيدي (هلال) أثناء تناوله للقهوة.

هلال: سيدي، أتمنى أن تتم التحقيقات في سرية تامة حفاظًا على سمعة المستشفى.

سليم: بالطبع يا دكتور، في حالة أن تكون وفاة (نادر شوقي) طبيعية سأمضي في سلام وهدوء، لكن في حالة إثبات العكس، فمن الأفضل الاتصال بمحامي، وأعدك يا سيدي ألا تعلم الصحافة شيئًا مني.

يحاول (هلال) المقاومة إلى آخر المعركة، فتظهر نبرة التهديد مرة أخرى محذرًا سيادة الرائد أنه على علاقة بأقوى السلطات في البلد، لكن لم يتراجع (سليم) عن موقفه، فالحق فوق أي سلطة ليخلف (سليم) وعده مهددًا بإبلاغ الصحافة عن موقف إدارة المستشفى في إعاقة العدالة، لينتصر الخوف ويحتل قلب (هلال) تمامًا، ليفضل الصمت عن قول أي كلمة تثير غضب سيادة الرائد.

يبدأ (هلال) بتنفس الصعداء لظهور آخر طوق نجاة يمكن حمايته من مصير مؤسف، حيث يفتح الباب من قبل الفتاة ذات الملابس السوداء بعد مشاجرة حادة بصوت غاضب سمعه جميع العاملين بالمستشفى.

هند: من تجرأ على منعي من أخذ جثمان والدي؟

هلال: والدك؟

هند: أنا هند نادر شوقي.

هلال: أهلًا بك، برجاء الجلوس.

هند: أنا لم آتِ للمضايقة، هل أصابكم الجنون؟

سليم: هدئي من روعك لشرح الموقف.

هند: من أنت يا هذا؟

سليم: الرائد سليم شاكر، مباحث، تفضلي بالجلوس.

تهدأ (هند) قليلًا، ليس خوفًا من تواجد ضابط المباحث في المكان، إنما فضولًا لما سيقال لها لاحقًا، لتبدأ التحدث بسخرية تامة من افتراض (سليم) بأن السيد (نادر شوقي) ضحية جريمة قتل، غير مهتمة بمنصب (سليم) أو رتبته، لم تتوقف عن الاستهزاء عما قاله ووصفه بالحماقات والأكاذيب وبعضا من الجهل عن حالة الأديب الصحية، حيث أنه تعرض إلى أزمة قلبية كادت أن تودي بحياته بالعام الماضي.

بكر: هند، كنت أبحث عنك في كل مكان، ماذا يحدث؟

هند: بالطبع الجميع على معرفة بالكاتب الشهير (أحمد أبو بكر)، صديق العائلة وتلميذ والدي رحمه الله.

ينهض (سليم) لمصافحة الكاتب ذي الوجه البشوش والملامح الطيبة المصابة ببعض من الحزن على وفاة والده الروحي، لتصاب بشيء من المفاجأة بعد سماع ما قاله (سليم) عن احتمالية مقتل (نادر)، لكن لم يختلف كلام (بكر) عن كلام (هند) مع فارق الأسلوب المهذب عن أسلوب (هند) النرجسي.

سليم: نحن هنا لنتأكد من سبب الوفاة، أعدكم في حالة الوفاة الطبيعية سأحمله شخصيًا على كتفي لأنال ثواب دفنه، لكن في حالة وفاته مقتولًا، سأضطر التحفظ على الجثة لإحالتها إلى الطب الشرعي.

هند: الطب شرعي؟ هل تريد تشريح جثة والدي أيها الأحمق؟ سأتصل الآن برؤساء رؤسائك لإنهاء حياتك المهنية للأبد، هل ت....

فجأة تتحول الشرسة العنيفة إلى قطة أليفة فور دخول صديقتها القديمة (هند)، لتبدأ في البكاء في أحضان صديقته التي لم ترها منذ سنوات، طالبة من (سمر) أن تتصل هاتفيًا بوالدها لحل هذه الأزمة، لكن سرعان ما تتوقف دموع التماسيح فور معرفتها بأن الصديقة هنا لأداء عملها كطبيبة بالطب الشرعي، لتثور (هند) مرة أخرى على من بالغرفة دون أي اعتبارات للسن أو المكانة أو حتى الصداقة.

سمر: أرجوكِ اهدأي قليلًا، فقد أثبتت التحاليل أنه قد مات مسمومًا.

بكر: مستحيل.

هند: بكر، انتظرني خارجًا أرجوك.

بكر: لكن.

هند: لا أريد أي جدال، انتظر بالخارج.

كانت أوامر عائلة (نادر شوقي) مجابة دون أي نقاش، ليخرج (بكر) وعيناه تذرف بالدموع عما سمعه عن مقتل معلمه، لكن لم تظهر أي من علامات الحزن على وجه ابنته، إنما الغضب والغرور فقط.

تبدأ (سمر) شرح سبب الوفاة الناتج عن دخول نسبة كبيرة من مادتي الديجوكسين و إيرجوتامين، كما أوضحت أن المادتين أساسيتين في أدوية القلب، فمن المرجح أن يكون تناول جرعة زائدة من أدوية القلب خاصته، لكن ما فاجأ الجميع اعتراف (هند) بأن والدها قد توقف عن تناول أدوية القلب منذ عدة شهور لكرهه الاعتراف بالمرض والضعف.

سمر: لكن الغريب بالأمر أن هذه المواد بطيئة المفعول، من الممكن أن تسبب وفاته بعد دخوله المستشفى أولًا، بالتأكيد أدوية مميتة لكن ليست سريعة القتل.

بعد التأكد من مقتل الكاتب، ازدادت الأمور تعقيدًا لعدم مقدرة كيفية موته بهذه السرعة، من الممكن ألا تكون هذه المواد الكيميائية هي السبب الحقيقي لموته، من الممكن أن يكون قد تناول أدوية خاطئة، من الممكن أن يكون انتحارًا. يجلس الجميع مع بعضهم للمشاورات والأسئلة محاولة للحصول على حل اللغز، أما (شريف) كان جالسًا وحيدًا على كرسي في الجهة المقابلة لمكتب (هلال)، مستمعا لموسيقاه، مغمضًا عينيه، متجولًا في مكتبة القصر.

❦ ❦ ❦



مجرة العلم

تفتح أبواب المكتبة الضخمة تلقائيا لدخول ملكها، ليسير الملك على الأرض المكونة من نجوم الفضاء الواسع فيتوقف (شريف) في منتصف المكتبة المكونة من مئات الطوابق المحتوية على ملايين الكتب والمعلومات التي قام (شريف) بتخزينها داخل عقله، فيستدعي (شريف) كل الكتب الطبية بداية من anatomy for students مرورًا ب surgical Radiology نهاية ب toxicology. بمجرد إشارة من إصبعه تتطاير الكتب والمخطوطات من الأرفف متوجهة نحو مالكها، لتدور حوله دوران الكواكب حول الشمس، لتبدأ الصفحات في التحرك واحدة تلو الأخرى للوصول إلى الإجابة الصحيحة، مستعينًا بضوء القمر الذي يعلو سقف مكتبته. أخيرًا تم العثور على الإجابة العلمية السليمة، فيفتح (شريف) عينيه ليصل إلى عالم الواقع، داخل مكتب مدير المستشفى، ناظرًا لمن هم

في حيرة من أمرهم، ليصيبهم الذهول من الإجابة التي حلت المعادلة الغامضة، وكان الأكثر ذهولاً بينهم هي (هند).

شريف: أنسولين.

سليم: ما بك؟ هل أنت مريض؟....

سمر: أكمل إجابتك يا (شريف).

شريف: مادة الديجوكسين وإيرجوتامين من المواد الخاص بانتظام ضربات القلب، في حالة اتحاد المادتين مع مادة الأنسولين يعمل على توقف القلب فجأة... مدة تفاعل المواد في الدم من ٣٠ لـ٦٠ دقيقة، (نادر شوقي) كان مريض سكر.

هند: كيف علمت السر الذي أخفاه عن الجميع؟

بداية التحقيق

يعود الجنود إلى مواقعهم المختلفة، حيث تعود (سمر) إلى مقرها بالطب الشرعي بالغنيمة لبدء عملية التشريح، أما بالنسبة لـ(سليم) يعود إلى مكتبه ومن خلفه (شريف) ليبدأ التحقيق مع ابنة القتيل، ليبدأ خدعة التلاعب النفسي، فلا يبدأ بالتحقيق على الفور، ليجعلها جالسة أمامه مدعًيا الانشغال ببعض الأمور الورقية الواجب الانتهاء منها، فيستدعي النقيب (مصطفى) لإعطائه الأمر المباشر بالتفتيش والتحقيق الميداني الكامل للمكتبة التي تعتبر مسرح الجريمة، وعلى الفور يقوم (مصطفى) بتنفيذ الأمر ليبدأ التحرك إلى مكان الحادث.

ازداد توتر (هند) ليس فقط من إهمالها دون التحقيق أو حتى التحدث معها، بل من هذا الشاب الغريب الجالس بعيدًا على الأريكة في سكينة، مستمعًا إلى الموسيقا من خلال

سماعة الأذن الكبيرة الحمراء اللون، ناظرًا إلى سقف الغرفة بشكل متواصل، متسائلة عن كيفية معرفة السر الذي أخفاه والدها لسنين طويلة عن إصابته بمرض السكر. حاولت التفكير والوصول لإجابة على هذا اللغز المحير، حتى أنها لم تهتم بالقهوة الساخنة التي وضعت أمامها، حتى أنها لم تشعل السيجارة التي بفمها منذ دقائق. لينقطع حبل أفكارها بمجرد رؤية شعلة القداحة التي أشعلها (سليم) لها، فتبدأ بالتدخين.

هند: أشكرك.

سليم: عفوًا، هل من الممكن أن تروي لي الحكاية من بدايتها؟

هند: أريد أولًا أن أعرف هوية هذا الشخص وكيف...

سليم: دعنا لا ننحرف عن الموضوع، وكما تعملين من السهل معرفة مرض السكر من خلال التحاليل عاجلًا أم آجلًا. لكن السؤال من غيرك يعلم بمرض الوالد؟

هند: أنا والطبيب بالطبع وسامي، الحارس الشخصي لوالدي، الواقف بالخارج يمكن أن تستدعيه.

سليم: سأستدعي من أريد وقتما أريد، أريد أن أعلم ما حدث ليلة أمس بالتفصيل.

❦ ❦ ❦

ليلة الحادث

يدخل الأديب الكبير من بوابة مكتبة إيوان المعرفة المتواجدة بمصر الجديدة باستقبال من (أنور)مدير المكتبة شخصيًا وبعض العاملين، يبدأ (نادر) في مصافحة بعض المعجبين وأخذ صور تذكارية مع البعض، لتتركه (هند) ابنته للقيام بوظيفتها كمديرة لدار الشرق للنشر والتوزيع، لتبدأ التأكد من تنسيق المكان المخصص لحفلة التوقيع بالمظهر المناسب للأديب الكبير، حتى أنها قامت بشراء الحلويات بنفسها ووضعها على الطاولة بجانب المشروبات، أما (سامي) فقد كان الظل الذي لا يفارق (نادر) أبدًا، حتى أنه متواجد في الصور التي يتم التقاطها لـ(نادر شوقي).

تعود (هند) لوالدها لتطلب منه الانتظار في استراحة المكتبة الداخلية والتي تم إخلاؤها وتجهيزها بالكامل لاستضافة الأديب، فلا يمانع (نادر) من ذلك الأمر، من

المستحيل أن تبدأ حفلة التوقيع دون حضور جميع الصحافيين ونقاد الأدب والمعجبين.

أنور: سأخصص لك (معتز) ليكون خادمك لحين انتهاء الحفلة.

ينحني (معتز) إجلال للمثل الأعلى للقراء والأدباء، ليفتح له باب المكتبة للدخول، ويسير أمامه في حياء حتى يصل إلى الطابق الأول حيث توجد الاستراحة الخاصة بالمكتبة وهى عبارة عن غرفة صغيرة تحتوي على خمسة طاولات بكراسيها الخاصة. يدخل (سامي) قبل (نادر) ليقوم بتأمين المكان تمامًا، والتأكد من خلو المكان تمامًا، ليدخل (نادر) بعد عدة ثوانٍ ويجلس على الطاولة التي تم وضعها خصيصًا له.

يقف (سامي) أمام باب الاستراحة من الخارج لمنع أي شخص الدخول على (نادر)، حتى أنه منع (معتز) من التواصل مع الأديب، تصعد (هند) إلى الطابق الأول حاملة الحلوى المصنوعة بالشكولاتة والتي قامت بشرائها خصيصًا لوالدها، يسمح (سامي) لها بالدخول لوالدها الذي يشعر بالسعادة فور رؤيته لقطعة الحلوى مثل الأطفال.

هند: أرجو ألا تكون قد نسيت حقنة الأنسولين.

نادر: لا تقلقي يا عزيزتي، إنها معي.

تتحقق (هند) من خلو المكان تمامًا من الناس، ليخرج (نادر) الأنسولين ليحقن بها ذراعه، ليعيدها سريعًا إلى جيبه بعد الانتهاء منها للبدء في التهام قطعة الحلوى، حتى أنه لم يهتم بكلمات (هند) قبل أن تعود لتنظيم الحفلة وقد أدركت (هند) ذلك بالفعل، لذا خرجت من الاستراحة لتؤكد مع (سامي) أن الحفلة ستبدأ بعد نصف ساعة لا أكثر.

سامي: لا تقلقي يا سيدتي، سأحضر سيادة الأديب في الموعد المحدد.

❦ ❦ ❦



هذا كل ما حدث

انتهت القهوة الأولى والثانية وحرق الكثير من السجائر، فيستمع لرواية (سامي) بعد أن استمع لما قالته (هند)، ليجد تطابق الروايتين بشكل كبير، الأمر الذي جعل شعلة الشك تزداد قليلاً في قلب (سليم).

سليم: ماذا حدث بعد أن تركته (هند)؟

سامي: طلب الأستاذ بعض الكتب من هذا الفتى المدعو (معتز) وأحضرها بالفعل وقمت بنفسي بإدخال هذه الكتب إليه، الأستاذ كان محبًا لاحترام خصوصيته.

سليم: هل تناول أي شيء آخر؟ أو من الممكن قام بشرب شيء ما.

هند: والدي كان حريصًا ألا يتناول أي شيء خارج المنزل أو مكتبه في دار النشر.

سليم: دار النشر؟

شريف: دار الشرق، أكبر دار نشر في مصر والوطن العربي.

لم تكن المفاجأة الكبرى هو اقتحام (شريف) للتحقيق، إنما ما أثار غضب الجميع حتى (سليم) شخصيًا هو السؤال الذي كان على سيادة الرائد الانتباه إليه منذ بادئ الأمر.

شريف: لماذا يحتاج (نادر شوقي) إلى حارس شخصي؟

كان من الواضح التوتر الذي أصاب كلًا من (هند) و(سامي) حتى امتنعا عن الكلام للحظات لمجرد محاولة السيطرة على التوتر والبحث عن الإجابة المناسبة، فينجح أخيرًا (سامي) في إيجادها، معللًا أنه كان على علاقة قديمة بالأستاذ (نادر) وقد قرر الأديب تعيينه كحارس له من باب العطف ومساعدة شاب فقير لا أكثر.

شريف: الترددات الصوتية تؤكد كذبه.

سامي: أتنعتني بالكذب أيها الأبله؟

اغتنم (سليم) الفرصة لإطلاق شحنة الغضب العارمة بداخل مما صادفه على مدار اليوم ليطلقها في وجه (سامي) الذي تجرأ على التحدث بطريقة غير لائقة في وجود سيادة الرائد، الأمر الذي جعله لا يتوقف عن إهانة المتهم دون توقف. يقوم (سليم) باستدعاء العسكري (شعبان) من خارج المكتب لأخذ أحد المتهمين بجريمة القتل والتحفظ عليه خارج المكتب.

على الرغم من إحساس (سليم) بالنجاح بإدخال الخوف لقلب (هند) الجالسة مرتعدة مما سيحدث لها لاحقًا، لتخلع قناع النرجسية والغرور التي كانت ترتديها منذ البداية. إلا أنه شعر ببعض الذنب عندما وجد (شريف) في حالة ذعر شديد من نار غضب ضابط المباحث الذي كاد الجميع يشتعل منها، يتوجه (سليم) سريعًا نحو (شريف) الذي يبتعد عن الغاضب خوفًا. شعور (سليم) بالذنب جعله يهدأ للحظات لكن سرعان ما أثارت المغرورة شعلة الغضب مرة أخرى.

هند: هل جننت للتعامل معنا بهذا الشكل؟

سليم: تأدبي في الكلام يا متهمة.

هند: متهمة؟

سليم: لقد اعترفتِ بأن والدك لم يأكل أي شيء سوى قطعة الحلوى التي قدمتها بنفسك؟

هند: نعم.

سليم: ولم يدخل استراحة المكتبة سواكِ أنتِ.

هند: صحيح.

سليم: ولا يوجد أحد على علم بحقنة الأنسولين غيرك أنتِ والبغل الموجود بالخارج.

هند: لكن...

سليم: بالتالي سنقوم باحتجازك كمتهمة أساسية في جريمة القتل، ولا يوجد مشتبه غيرك.

هند: لكنه والدي يا سيادة الرائد.

سليم: الله أعلم بنوايا عباده، هل ستعترف بجريمتك أم ستقوم بالمراوغة.

هند: أقسم لك أني لم....

سليم: إذن فهي المراوغة... شعبان.

يدخل (شعبان) ليمسك المتهمة تنفيذ لأوامر سيادة الرائد الذي يأمر بإدخالها الحجز لحين الانتهاء من التحقيقات، فتنكسر أنف المغرورة لتبدأ بالبكاء الشديد والتوسل طالبة العفو والرحمة من الجلاد.

سليم: سأتركك محتجزة هنا في مكتبي تقديرًا لوفاة والدكِ لا أكثر، لكن أقسم بالله إذا ثبتت إدانتك لن تشاهدي نور الشَمس مجددًا حتى مماتك.

يترك (شعبان) المتهمة جالسة على الكرسي في انهيار تام وبكاءِ دون توقف تنفيذًا لأوامر (سليم) الذي يخرج من المكتب برفقة (شريف) لمعاينة مسرح الجريمة.

❦ ❦ ❦

مستحيل علميًا

يقود (سليم) سيارته ناظرًا إلى (شريف) الجالس بجانبه الناظر بعيدًا كالعادة، لكن شعور (سليم) بالذنب لا يفارقه أبدًا، حتى أنه حاول الاعتذار من (شريف) أكثر من مرة، لكن إصرار (شريف) المستمر على التزام الصمت، عندما حاول (سليم) أن يقبل رأسه اعتذارًا واحترامًا، أخذ (شريف) يصرخ دون توقف، ليوقف (سليم) السيارة ليخرج منها مسرعًا، مبتعدًا عن السيارة قدر المستطاع لينفجر في البكاء دون توقف، فيجلس على الأرض بعد أن خانته قدماه حزنًا عليه. حاول التماسك ومقاومة البكاء أكثر من مرة دون جدوى، فلم تذرف عيناه بالدموع منذ سنوات، وحانت لحظة فيضان الحزن، والشقاء الذي كان يمنعه من الانهيار منذ زمن. تماسك (سليم) أخيرًا لينهض من على الأرض متجهًا إلى السيارة ليخرج زجاجة المياه ويفرغها بالكامل على وجهه حتى تختلط الدموع بالماء، داعيًا ربه بمنح القوة والثبات.

يعود (سليم) إلى مكانه داخل السيارة ليجد الهدوء عم داخل السيارة، ليجد (شريف) مستمعًا إلى الموسيقا في السماعات التي أهدتها (سمر) إياه، ليتذكر (سليم) أمر المكالمة، ليخبر (سمر) عن نتيجة التحقيق.

سمر: بالطبع مستحيل.

سليم: هل تجدين أي تفسير آخر بعد اعترافها بأنها الوحيدة التي أدخلت له الحلوى، الشيء الذي تناوله قبل موته مباشرة؟

سمر: أعترف أنها متعجرفة ومغرورة، لكنها ليست بقاتلة... كما أن عمي (نادر) لطيف جدًا.

سليم: هذه ليست فقرة الإهداءات في الراديو، أريد إجابة واضحة، من خلال التشريح هل ممكن معرفة إذا كانت قطعة الحلوى هي المحتوية على السم القاتل أم لا؟

سمر: مستحيل علميًا، إلا في حالة واحدة، إذا وجدت بقايا قطعة الحلوى يمكن تحليلها للتأكد من الأمر.

سليم: يا لكِ من طموحة، من المستحيل العثور عليها.

سمر: إذن لا أستطيع مساعدتك، هل (شريف) بجانبك؟ كيف حاله؟

سليم: سلام يا سمر.

سمر: أخبرتك أني أكره هذا الاسم....

شريف: هند لم تحجز في السجن.

سليم: تعاطفًا مع حالتها كما أنها ليست متهمة بعد حتى تدخل السجن يا صديقي.

شريف: أنت لا تعتقد أنها القاتلة.

سليم: لا أجد الدافع للقتل، فهي المسؤولة عن الدار وعن الأموال.

شريف: أنت تفكر في شيء آخر.

سليم: مثل ماذا؟

شريف: خطة ذكية وخطوات تنفيذ غبية.

لم يتعجب (سليم) من ذكاء (شريف) في قراءة الأفكار، بل تأكد بأن الحلقة غير مغلقة بعد، رغم أن أصابع الاتهام تشير إلى (هند) أو (سامي)، ومن الممكن كلاهما، لكن شعور (سليم) بأنه يغفل شيئًا ما، أما الصدمة والذي أكد له بأن القاتل ما زالًا مجهول هو سؤال (شريف) له.

شريف: كل منهما كان مع (نادر) في كل مكان، لماذا تم قتله في المكتبة رغم سهولة ارتكاب الجريمة في المنزل؟

سليم: وما هو تحليلك؟

شريف: القاتل خلق حالة وفاة طبيعية وفي حالة كشف الخطة يعلم أن أصابع الاتهام ستوجه إلى (هند)و(سامي)

سليم: كل الخدع مباحة في الجريمة...سنرى

❦ ❦ ❦

إيوان المعرفة

يدخل (سليم) ومن خلفه (شريف) إلى مكتبة إيوان المعرفة التي تم غلقها ومنع دخولها على الإطلاق لحين الانتهاء من التحقيق، ليجد (مصطفى) يحقق مع (أنور) مدير المكتبة.

سليم: ما هي التطورات؟

مصطفى: يتم رفع البصمات في المكان بالكامل، ويقوم الخبراء بأخذ نسخة من تسجيلين كاميرات المراقبة، كما ترى يتم استجواب مدير المكتبة.

سليم: طبقًا للتحريات، تم إبلاغنا أن أحد العاملين كان متواجد مع (نادر شوقي).

أنور: مضبوط يا فندم...يا معتز... تعال.

يأتي (معتز) مسرعًا إلى (سليم) وهو مرتعد خوفًا من اتهامه بالقتل، ليحاول (سليم) تهدئته، لكن دون جدوى،

فما كان على (سليم) سوى الاستعانة بحيلة الفزع التي تجعل منصاعين للأوامر.

معتز: لقد كنا جميعًا في استقبال الأستاذ (نادر) منذ لحظة وصوله.

أنور: مضبوط يا افندم.

سليم: لم أوجه إليك السؤال، انتظر بعيدًا، أكمل يا (معتز)

معتز: قمت بمرافقته حتى استراحة المكتبة الموجودة بالطابق العلوي.

سليم: أرني إياها.

يصل (معتز) إلى الاستراحة ومن خلفه (سليم) و(شريف) ليجدوا الخبير بالداخل لرفع البصمات، ليتفاجأ (سليم) بطبق الحلوى التي كانت يتناولها (نادر) ليلة أمس، لكنه خاوٍ، لينفجر (سليم) غضبًا فور علمه بأن معتز قد ألقى ما تبقى من الحلوى في القمامة.

معتز: اهدأ يا سيدي، فقط ألقيته في صندوق القمامة الصغير الخاص بالاستراحة، فلم يستطع عم صبري عامل النظافة الحضور إلى العمل بسبب سقوطه من على السلم ليلة أمس .

يطلب (سليم) حضور فني المعمل الجنائي ليأمره بأخذ بواقي قطعة الحلوى لعمل التحاليل اللازمة للكشف عن محتوياتها، فيأخذ فني المعمل الدليل ليتحرك مسرعًا إلى المعمل الجنائي. تكاد الفرحة تشرق على وجه (سليم)، لكن سرعان ما يعم الغروب عندما يتصل بـ(سمر) هاتفيًا لتخبره أن نتيجة التحليل لن تظهر قبل الغد، ليطلب منها توسلًا أن تسرع في النتيجة، حيث أنه لا يستطيع حجز (هند) أو (سامي) حتى يوم غد دون دليل قاطع لإدانة أحدهما أو كليهما.

سمر: أرسلها لي وسأحاول الانتهاء خلال ساعات.

سليم: أشكرك يا سمر.

سمر: أخبرتك أني أكره هذا الاسم...

ينهي (سليم) المكالمة لاستكمال التحقيق، ليخبره جهله بأي معلومة أخرى عن (نادر شوقي)، حيث منع (معتز) من الدخول على الأستاذ من قبل حارسه الشخصي، لكنه كاد أن يدخل على الأستاذ عندما طلب بعض الكتب لتصفحها لحين بدء حفلة التوقيع.

شريف: لا توجد كاميرات هنا.

كالعادة لاحظ (شريف) ما لم يلاحظه الآخرون، استفسر (سليم) عن سبب عدم وجود الكاميرات في الاستراحة،

على الرغم من كون المكتبة مليئة بالكاميرات، حتى الأسطح والأسوار والبوابات الخارجية مثبت عليها كاميرات المراقبة، لكن الاستراحة هي المكان الوحيد الخالي من المراقبة.

معتز: نحن نقوم بمراقبة الأماكن التي تحتوي على كتب وأرفف حتى لا تتعرض للسرقة، أما الكاميرات الخارجية فهي مطلوبة لمراقبة المتسللين، لكن لا حاجة لنا لمراقبة غرفة خالية من أي شيء ثمين، وإذا قام السارق بالدخول للاستراحة لإخفاء الكتاب داخل حقيبته أو سترته، ستكشفه البوابات الإلكترونية دون...

شريف: أريد الذهاب إلى غرفة الكاميرات.

يصل (سليم) ومن خلفه (شريف) و(معتز) إلى غرفة مراقبة الكاميرات الصغيرة الحجم المحتوية على أربع شاشات للكمبيوتر تعمل على مدار الساعة توضح جميع كاميرات المكتبة. بالكاد الغرفة كافية لشخصين أو ثلاثة على الأكثر، لينتظر (معتز) خارج الغرفة لحين معرفة (سليم) آخر تطورات التحقيق من أحد أعضاء فريق البحث الجنائي الذي انتهى من نسخ جميع تسجيلات الكاميرات الخاصة بالمكتبة ليلة الحادث، ليأمر (سليم) باستلام نسخة من جميع التسجيلات التي ظهر فيها (نادر شوقي) خلال ساعة لمعرفة ما حدث بالتفصيل.

شريف: أريد مشاهدة التسجيلات هنا.

سليم: لا تقلق سنشاهدها سويًا في المكتب.

شريف: أحتاج أن أشاهدها هنا.

لم يكن الوقت مناسب للمجادلة، حيث يدخل (مصطفى) سريعًا إلى الغرفة ليخبر (سليم) أن سيادة العميد يطلب حضوره إلى مكتبه في الحال دون تأخير، ليكتشف (سليم) عدم وجود شبكة تغطية للموبايل داخل جدران المكتبة الإسمنتية. الأمر الذي يضطره إلى الإسراع خارج المكتبة تاركًا (شريف) بعد توصية خاصة منه إلى (مصطفى)، كما يأمر (معتز) أن يظل جالس بجانبه لحين عودته مع محاولة عدم التواصل مع أي شخص من رجال الشرطة سوى (مصطفى) فقط، تجنبًا لأي نوبة فزع يصاب بها (شريف) قد يصعب السيطرة عليها. يجلس (شريف) لمشاهدة جميع الكاميرات في آن واحد بتعمق شديد ليجلس بجانبه (معتز) تنفيذًا للأوامر، ناظرًا إلى الشاب الصامت المدقق النظر إلى شاشات الكمبيوتر.

شريف: ارو الحكاية مجددًا بالتفصيل.

❦ ❦ ❦



ضيوف فقط

لم تكن مجرد علاقة وظيفية بين الضابط ورئيسه، بل أكثر من علاقة التلميذ والأستاذ، لكن قسوة (راجح) في العمل فقط هي المانعة لتكون علاقة الوالد لولده، أيقن (سليم) هذا الأمر منذ سنوات، لذلك حاول أن يكون فخرًا لرئيسه، منفذًا أوامره قدر المستطاع ليكتسب ثقة (راجح) الذي يعطيه مطلق الحرية في عمله. لكن الخوف من اللحظات التي يطلب (راجح) حضور (سليم) على وجه السرعة لمسألة طارئة، قلما يتلقى (سليم) هذا النداء إلا في حدوث الكوارث، مثل المظاهرات والثورات وبعض القنابل التي استهدفت رجال ومقرات الشرطة، الأمر الذي جعل القلق يسيطر على (سليم) محاولاً معرفة الكارثة الجديدة التي تكاد أن تعصف بالجميع، هذا كل ما كان يشغل بال (سليم) منذ لحظة استدعائه حتى وصوله إلى مكتب العميد (راجح). بمجرد فتح باب المكتب يدرك المشكلة التي قد تكون أهم من أي مشاكل حدثت من قبل، الخطأ المكروه

بالنسبة لسيادة العميد هو الوقوع في الخطأ، أدرك (سليم) خطأه من نظرة (راجح) الغاضبة وهو جالس على مكتبه جالسا أمامه (هند) و(سامي) ومعهم (بكر) في حضور المحامي الفاسد (عماد مدكور) الذي قد يتسبب في فضيحة وأزمة لوزارة الداخلية بأكملها.

راجح: ها هو (سليم) المسؤول عن قضية الأستاذ (نادر) رحمه اللّه، أحب أن أعرفك بالأستاذ...

سليم: الأستاذ (عماد مدكور) المحامي، غني عن التعريف.

راجح: احذر فإنه غاضب منا يا سيادة الرائد.

سليم: وهل فعلنا أي خطأ يا سيدي؟

عماد: هل من القانوني يا سيادة الرائد أن يتم القبض على الأستاذة (هند) والأستاذ (سامي) دون اتهام أو دليل إدانة والتحقيق معهم دون تواجد المحامي خاصتهم؟

سليم: سيدي، أنا لم أحقق معهم ولم يتم القبض عليهم.

تسقط الألسنة وترتفع الآذان لتستمع إلى حجة (سليم) الملتوية للنجاة، معللاً أنه قد طلب مرافقة كلٍ من (هند) و(سامي) لمناقشة بعض الأمور في القضية بصفة ودية لا أكثر، والدليل على ذلك وصولهم القسم بسيارتهم الخاصة لا بسيارة الشرطة. لذلك يعتبر تواجدهم في القسم بكامل إرادتهم كضيوف فقط لا أكثر.

عماد: لكن موكلتي تتهمك بأنك قمت بالتهديد والوعيد بإدخالها الحجز دون أي تهمة؟

سليم: أعترف بهذا الأمر، وذلك بسبب أنها وصفتني بالجنون وكما تعلم يا سيدي طبقًا للقانون يعتبر تعديًا على ضابط أثناء تأدية عمله، لكن بناءً على تعليمات سيادة العميد بالهدوء وضبط النفس تقديرًا للظروف التي تمر بها لم أتخذ أي إجراء قانوني ضدها.

بكر: أرجوك يا سيدي، بالتأكيد لا تقصد أي إساءة لك.

يحاول (راجح) إخفاء ابتسامته على الخدعة التي استخدمها (سليم) للخروج من الأزمة، فيضع يده على فمه حتى لا تتسرب الضحكات من فمه بعد سماع اعتذار (عماد) على سوء التفاهم الذي حدث شاكرًا (سليم) على كرم أخلاقه وتقدير حالة (هند) النفسية، لتعود الثقة إلى مكانه في صوت (راجح) ليقبل الاعتذار، فيسمح لـ(عماد) وموكليه بالاستئذان للرحيل على أن يتم استدعاؤهم مرة أخرى بشكل رسمي لأخذ بعض الأقوال بخصوص القضية.

تتعالى ضحكات (سليم) بمجرد خروج (عماد) ومن معه من المكتب لكن سرعان ما تتطاير الضحكات بمجرد رؤية وجه (راجح) الغاضب من الخطأ الناتج عن الاندفاع الذي كاد أن

يتسبب في فضيحة في وزارة الداخلية خاصة بأنه يعتبر الخطأ الثاني لـ(سليم) هذا اليوم، فالحكمة تقتضي التعامل في بعض القضايا بمنتهى الحذر لتجنب الأخطاء. كاد (سليم) ينحني للتعبير عن أسفه عمّا حدث، والاعتذار الأكبر بسبب جعل أستاذه غاضب من التلميذ، ليطلب من الأب ألا يحزن من ابنه العاق. لم يكن (راجح) من أصحاب السلطة التي تنخدع بكلام المنافقين المعسول لكنه كان على ثقة أن كلمات (سليم) نابعة من قلبه.

تنتهي العواطف ليبدأ العمل، فيخبر (سليم) رئيسه عن آخر التطورات بدءًا من تحليل قطعة الحلوى المسمومة حتى تسجيلات الكاميرات الذي سيقوم (سليم) شخصيًا بمشاهدتها.

راجح: أين ذلك الشاب المدعو (شريف).

سليم: يا إلهي، لقد تركته في المكتبة، سأذهب إليه ل...

راجح: اتركه وشأنه، أنت لست والده أو شقيقه أو حتى مسؤولًا عنه، فلتذهب إلى مكتبك الآن.

لم يجد (سليم) سوى تنفيذ الأمر ليتوجه إلى مكتبه، ليتوقف فور سماع الأمر الأخير لسيادة العميد وهو الاتصال

بـ(مصطفى) ليأمره أن يعيد (شريف) إلى منزله فور الانتهاء من العمل داخل المكتبة، ليقدم (سليم) التحية لسيادة العميد مبتسمًا لكرم أخلاقه وعدم التخلي عن الشاب الصغير.

تتعالى ضحكات (راجح) فور خروج (سليم) من المكتب عن الخدعة التي وقع (عماد) في شباكها.

* * *



خيال حقيقي

يكاد (معتز) أن يعترف أنه القاتل حتى يتم القبض عليه ليبتعد عن هذا الكابوس الذي علق بجانبه وغير مفارقه إلا بأوامر الرائد (سليم) الذي تركهما سويًا من عدة ساعات، ومنذ ذلك الحين وهو يكرر روايته بالتفصيل دون توقف حتى جف حلقه من التعب، لكن المستمع يطلب تكرار الحكاية مجددًا، ليضطر (معتز) إلى إطاعة الأوامر حتى لا ينتهي أمره. لكن الشيء الذي تعجب منه (معتز) هو عيني (شريف) التي لم تفارق الشاشات ولو للحظة واحدة، لم يلتفت إلى الجالس بجانبه ولو مرة.

شريف: مجددًا.

معتز: اتقِ الله يا أستاذ، لقد رويت لك ما حدث أكثر من مئة مرة.

شريف: كل مرة تظهر تفاصيل جديدة.

يبدأ (معتز) بقول الحكاية على مضض مرة أخرى، ليحمد ربه فور إيقاف (شريف) له عن السرد، فيتفاجأ (معتز) من نهوض (شريف) المبهم من على كرسيه، متجهًا نحو الباب ليخرج من غرفة المراقبة تاركًا (معتز) وحده الذي آمن بوجود خلل عقلي لدى (شريف).

يخرج (شريف) من المكتبة ليتوقف أمام بوابتها الخاصة واضعا السماعات على أذنه منفصلًا عن العالم بموسيقا (شيفرة دافنشي). بناءً على مشاهدته لتسجيلات كاميرات المراقبة قام العقل بإنشاء ذاكرة خاصة بحفظ كل شخص كان متواجدًا في الحفلة وكل رمشة عين حتى حركة تمايل أغصان الأشجار وتساقط الورق. ليبدأ العقل بإنشاء واقع افتراضي حيث تغرب الشمس في أقل من ثانية ليسود الليل على المكان ويظهر جميع الحاضرين للحفلة، كل في مكانه بالضبط دون أي حراك حتى يأتي الأمر من عقل (شريف) فيبدأ الجميع في التحرك والكلام دون صوت مسموع حتى لا تختلط الأصوات بموسيقا (شريف).

يدخل (نادر شوقي) من بوابة المكتبة برفقة كل من (هند) و(سامي) ليسير (شريف) بجانبهم، ليظهر (أنور) مع بعض العاملين مستقبلين (نادر) بالترحاب، بعد لحظات يظهر المعجبين من أجل الصور التذكارية مع (نادر) مع جميع التوقيعات كما ظهرت بالتسجيلات، ينظر (شريف) إلى

(هند) التي تتحرك بعيدًا عن (نادر) من أجل عملية تنسيق حفلة التوقيع حاملة علبة الحلوى لتضعها على الطاولة الخاصة بالمأكولات والمشروبات، لتعود مرة أخرى إلى (نادر) هامسة في أذنه. يظهر بعد لحظات (معتز) منحنيًا أمام (نادر) ثم يتحرك ومن خلفه (نادر) و(سامي) و(شريف) متوجهين إلى داخل المكتبة حيث يقوم (معتز) في حياء بفتح باب المكتبة الزجاجي لهم ويستكمل سيره لإرشاد (نادر) إلى الطريق، ليصعد الثلاثة على السلم ومن خلفهم (شريف) يراقبهم، حتى يصل الجميع إلى استراحة المكتبة بالطابق الأول. يقف (شريف) بجانب (نادر) في الوقت الذي يدخل (سامي) إلى الاستراحة من أجل تأمينها والتأكد من خلوها تمامًا.

يقف (شريف) خارج الاستراحة مراقبًا (نادر) الذي يجلس بالداخل بينما يحرس (سامي) مدخل الاستراحة، مشاهدًا (هند) أثناء صعودها بقطعة الحلوى، منتظرها حتى خروجها مرة أخرى وتأكيدها على التحرك إلى الحفلة خلال نصف ساعة ثم ذهابها لتعود إلى مكان الحفلة. ما لاحظه (شريف) هو دخول (معتز) إلى (نادر) لمدة دقيقة واحدة، ليخرج مسرعًا إلى الطابق الأرضي، لدقائق معدودة، لينصب تركيز (شريف) على (معتز) الذي يصعد السلم حاملًا الكتابين، لتظهر ابتسامة كبيرة على وجه (شريف) بعد حل الجريمة أخيرًا.

❦ ❦ ❦



الكتابان

بعد أربع دقائق وتسع ثوانٍ تنتهي الموسيقا فيفتح (شريف) عينيه فيجد نفسه متواجد داخل المكتبة في الدور الأرضي، كما يجد الشمس قد عادت إلى مكانها لتبدأ في الغروب، مع ظهور جميع أفراد الشرطة في أماكنهم وعلى رأسهم (مصطفى)، تاركين عملهم ناظرين إليه بنظرات التعجب من تحركاته الغريبة في جميع أركان المكتبة. لم يهتم (شريف) بتلك النظرات إنما كانت عيناه كانت تبحث عن الشخص الوحيد الذي سيؤكد نظريته، الذي يملك مفتاح لغز الجريمة ليجده أخيرًا منهك القوى خارجًا من غرفة مراقبة الكاميرات، ليتوجه (شريف) باتجاه (معتز) ليطلب منه الكتب الذي طلبها منه (نادر شوقي) ليلة أمس، فيتعجب (معتز) من السؤال لكنه لم يتردد في الإجابة، حيث أنه ترك كلا الكتابين على الطاولة المخصصة للكتب الأكثر مبيعًا علمًا بأن نواياه أرادت أن تضع كلًا منهما في الأرفف الخاصة بهما في المكتبة

لكن تواجد الشرطة في المكان بالإضافة إلى التحقيقات المستمرة التي كانت العائق لمباشرة أعماله اليومية.

توقف جميع أفراد الأمن عن مباشرة عملهم للمرة الثانية بسبب (شريف) مرة أخرى وذلك فور سماع صرخته العالية عندما توجه (معتز) نحو الكتابين ليحضرهما، فيتوقف (معتز) خوفًا من هذه الصرخة التي جعلت (مصطفى) يتوجه سريعًا إلى مصدر الصرخة خوفًا على صاحبها الذي يعتبر أمانة في رقبته، فقد تلقى أمرًا مباشرًا من سيادة الرائد قبل مكالمة العميد (راجح) بالحفاظ على سلامته والتأكد من وصوله إلى منزله فور الانتهاء من العمل في المكتبة. يتوقف (مصطفى) غاضبًا بمجرد رؤية (شريف) في سكونه الذي أصبح معتادًا لكن غير المعتاد هو ارتداء شريف للقفاز الطبي الذي استعاره من أحد أفراد البحث الجنائي والذي استخدمه في حمل الكتابين ليضعهما بحذر شديد في حقيبة شفافة محكمة الغلق ليضعه أخيرًا في حقيبته الخاصة، يقترب (مصطفى) من (شريف) لمعرفة سبب الصرخة التي سببت الذعر لجميع الحاضرين، فلم يحصل (مصطفى) على إجابة إنما حصل على شيء أعجب، حيث طلب (شريف) مرافقة (مصطفى) إلى السلم المؤدي إلى الطابق الأول، وبالتحديد عند الدرجة الرابعة من السلم ليشير (شريف) بإصبعه على الحائط الرخامي الملاصق لهذه الدرجة.

مصطفى: لماذا هذه النقطة بالتحديد؟

شريف: هذه النقطة.

مصطفى: هل أنت متأكد؟

شريف: هذه النقطة.

مصطفى: إذا فعلت ما تريده سينتهي عملنا ونرحل من هنا، هل اتفقنا؟

شريف: بالتأكيد.

ليعطي (مصطفى) الأمر إلى خبير البحث الجنائي بتنفيذ ما طلبه (شريف) دون نقاش، كما يعطي الأمر لجميع أفراد الشرطة بالاستعداد إلى الرحيل، لكن السعادة لم تدم طويلاً حيث كان لـ(شريف) طلب آخر الذي أفقد (مصطفى) صوابه وزاد من حدته وغضبه، فكيف يلتقي ضابط الشرطة من مواطن أمرًا بالقبض على (معتز) الذي ينهار في البكاء فور سمعه لهذا الأمر، ليسكته (مصطفى) بنبرة غليظة غاضبة ثم يوجه نظره إلى (شريف) الواقف أمامه في هدوء غير ناظر إلى أحد سوى الأعلى، ليظن (مصطفى) أن هذا الشخص يتعامل معه باحتقار حتى أنه لا يريد النظر إليه، فما كان على (مصطفى) سوى إخراج هاتفه للاتصال بـ(سليم) حتى لا ينتهي الأمر نهاية دموية لـ(شريف).

مصطفى: يا (سليم) باشا، هذا الفتى يتدخل في شئوننا ويملي علينا الأوامر، ونحن نتجاوب إرضاءً لك لا أكثر، والجميع هنا قد أنهى عمله لكنه يصر على الاستمرار في العمل وكأننا من الخدم.

يعطي (مصطفى) الهاتف إلى (شريف) كما أمره (سليم) الذي بدا من صوته بعض الغضب والإحراج من (شريف)، كما أنه قرر في نفسه أن يقوم بتوبيخ (شريف) عما بدر منه تجاه رجال الشرطة من أفعاله غير المحسوبة، لكنه لا يريد أن يصيب صديقه الجديد بالحزن الشديد، فلا يدري ما سيقوله ل(شريف).

شريف: هل أنت بالقسم؟

سليم: نعم، لكن هذا ل...

شريف: يجب أن نتقابل جميعًا، الآن.

سليم: ماذا تعني بجميعنا؟

شريف: سليم، سمر، هند، سامي، شريف... جميعًا.

سليم: لقد أتى المحامي وأخرجهم، الجميع في منزله الآن.

شريف: أرسل إليهم، يجب أن نتقابل جميع الآن في مكتب (راجح).

سليم: لماذا تريد ....

شريف: مع السلامة.

يعيد (شريف) الهاتف إلى صاحبه ليعيد معه طلب قبل المكالمة وهو القبض على (معتز)، فلا يملك (مصطفى) الخيار سوى مهاجمة (شريف) بأقبح الألفاظ، والسباب غير المتوقف، فلا يريد أن يظهر ضعيفًا أمام أمناء الشرطة والعساكر المتواجدين حوله التابعين له، وفي نفس الوقت لا يريد أن يلمسه حتى لا يبدو بمظهر الضابط المتوحش أمام العاملين بالمكتبة وأفراد البحث الجنائي، ليفضل صراخ في وجه (شريف).

شريف: اتفاق.

مصطفى: ماذا تعني؟

شريف: نذهب إلى القسم بعد القبض على (معتز).

مصطفى: وما هو المقابل؟

شريف: أريك القاتل.

❦ ❦ ❦


عصير الكتب للنشر والتوزيع

المشكلة... لا أعلم

لم يتوقف (سليم) عن مشاهدة الفيديوهات لمجرد إحساسه باليأس من وجود دليل على قتل (نادر)، بل للمكالمة الغريبة التي تلقاها من (شريف)، وإصراره على هذا الاجتماع الغامض، لكن صوته الموحى بالثقة جعل (سليم) يقفز من على كرسيه منطلقًا نحو مكتب (راجح) الذي كاد أن يرحل إلى منزله أخيرًا بعد يوم عمل طويل، ليوقفه (سليم) في اللحظة المناسبة.

راجح: إذا كانت هناك كارثة فلتؤجلها إلى صباح غد.

سليم: لكن هناك مشكلة يا سيدي.

راجح: ما هي المشكلة؟

سليم: لا أعلم.

راجح: لست في مزاج جيّد للألغاز.

يبدأ (سليم) بسرد ما حدث وما قاله (شريف) بالتفصيل خلال المكالمة الهاتفية مع إصراره الشديد على تواجد جميع المشتبه بهم. يظهر الغضب أولًا على وجه (راجح) قبل أن يصل إلى صوته الذي تعلو ألسنته لتحرق أذن (سليم) متهمًا إيّاه بالضعف وهشاشة القلب لمجرد إنصاته لأوامر شابٍ معاقٍ ذهنيًا ومجهولٌ سبب مساعدته للشرطة، بالإضافة إلى عدم إطاعة أوامر سيادة العميد باتخاذ الحذر أثناء التحقيق في هذه القضية الشائكة.

سليم: سيدي، أليس من الحكمة معرفة ما اكتشفه هذا الشاب قبل إصدار الحكم عليه؟

راجح: أليس من الحكمة القيام بعملك كمحقق لتكشف الحقيقة بنفسك؟

سليم: أرجوك يا سيادة العميد كفانا حديثًا عن كيفية القيام بعملي وعن تدخل (شريف) في التحقيق، لنعلم أوّلا ما يملكه (شريف) من أدلة، وأعلم أنك على ثقة بأنه يملك أدلة قوية.

يعم الهدوء للحظات داخل مكتب سيادة العميد قبل إهدار لأي ثرثرة أخرى، فكلاهما متشوق لمعرفة ما يملكه (شريف)، لكن الجهل والغرور في صراع دائم ضد الحق والعقل. يأمر (راجح) تلميذه بالاتصال بـ(شريف) لمعرفة ما اكتشفه

وسبب طلبه في إحضار من تم إطلاق سراحهم منذ ساعات، لكن المشكلة التي تواجه (سليم) أنه يحاول الاتصال بهاتف (مصطفى) أكثر من مرة لكن دون إجابة.

سليم: سيدي، أرجو أن تأذن لي بإحضار (شريف) إلى هنا في الحال.

راجح: الأمر الوحيد الذي ستقوم بتنفيذه هو التخلي عن هذه القضية.





منذ ثلاث دقائق مضت

يجلس الجميع محاولين سماع الحوار بين (شريف) و(مصطفى) الجالسين على طاولة بعيدًا عن أعين الجميع، ليشاهدا سويًا تسجيلات الكاميرات التي قام (شريف) بتحميل نسخة على اللاب توب الخاص به.

شريف: النهاية.

ينجح (مصطفى) في الانضمام كعضو جديد في نادي المذهولين من عبقرية (شريف)، لينهض من على كرسيه وهو مندهش مما رآه ومما سمعه من (شريف) المحلى بالسكينة والهدوء أثناء غلقه لجهاز اللاب توب ووضعه في الحقيبة لينهض مستعدًا للرحيل.

شريف: بيننا اتفاق.

يستعيد (مصطفى) وعيه من صدمة الذهول ليأمر العسكري بالقبض على (معتز) الذي يبدأ بالبكاء والصراخ أثناء سحبه من ذراعه من داخل المكتبة حتى سيارة الشرطة.

ينظر (مصطفى) إلى (شريف) مرة أخرى فيحاول التأكد مما سمعه إن كان حقيقة أم مجرد خيالات في رأس (مصطفى)، فيفضل (شريف) صمته المعتاد فيبدأ وضع السماعات على أذنه مستمعًا إلى موسيقاه متجها إلى خارج المكتبة منتظر بجانب سيارة (مصطفى).

يحاول (مصطفى) اللحاق بـ(شريف) لكنه يتوقف لحظة إخراج هاتفه من جيبه ليكتشف أن الرائد (سليم) قد اتصل به عدة مرات. لا يتذكر (مصطفى) أنه قام بضبط هاتفه في وضعية الصامت، فينظر إلى (شريف) متعجبًا، فهل يعقل قيام (شريف) بضبط الهاتف، هل يعقل أنه كان يريد بضع الدقائق لإقناع (مصطفى) بحيلته التي نجحت. لا يوجد أي وقت للتفكير، فكان على (مصطفى) الدخول إلى سيارته وبجانبه (شريف)، لينطلقا مسرعين نحو القسم ومن خلفهم سيارات الشرطة. ليبدأ الاتصال.

مصطفى: عذرًا يا سيدي، لكن عليك تنفيذ ما قاله (شريف).

* * *

في تلك اللحظة

يحاول (سليم) الدفاع من أجل البقاء، ربما من أجل تحقيق العدالة، لكن بالتأكيد للحفاظ على وظيفته وإثبات بأنه الأجدر في إدارة المباحث، لكن أخطاءه المتكررة لم تجعل له أي شفاعة، الأمر الذي أدى إلى إصدار القرار الذي لا رجعة فيه، وهو التخلي عن القضية، الأمر الذي لم يفكر في حدوثه من قبل في أي قضية مضت، لكن الرفض قد يؤدي إلى التحقيق معه بتهمة عدم إطاعة الأمر المباشر. لحظات فارقة في مستقبل (سليم) لذلك التزم الصمت لعدة دقائق قبل التفوه بقراره الأخير، لتظهر النجدة أخيرًا التي قد تنقذه.

سليم: لماذا لم تجب على الهاتف يا (مصطفى)؟

مصطفى: عذرًا سيدي لكني لم أنتبه إلى...

سليم: لا وقت لدينا، معي الآن سيادة العميد يستمع إلى المكالمة.

راجح: ما هو الوضع يا (مصطفى)؟ ولا أريد سماع كلمة (شريف) على الإطلاق.

مصطفى: حسنًا سيدي، بشكل بسيط تم معرفة كيف قتلت الضحية وتم تحديد شكل القاتل.

راجح: أريد بعض التفاصيل.

مصطفى: عذرًا سيدي، لا يمكن الشرح بالهاتف ، الموضوع معقد للغاية ، شري... أنا قادم إليك سيدي.

راجح: ماذا عن هذا الطلب العجيب؟ بخصوص إحضار ابنة الضحية؟

مصطفى: من أجل التعرف على الجاني في أسرع وقت قبل الهرب.

راجح: هل تدرك خطورة الموقف في حالة الخطأ؟

يصاب (راجح) الذهول من كلمات (مصطفى) الأخيرة، حيث أكد أنه قد وجد سلاح الجريمة، ليصاب (مصطفى) بالذهول أيضًا عندما قام (راجح) بالسؤال عن (شريف)، ليعطي سيادة العميد الأمر بإحضاره على الفور، لتنتهي المكالمة لكن ما زالت الحيرة متواجدة في عقل (سليم) أما (راجح) فكان الشك يسيطر عليه فيشعر بوجود خطب ما، غير واثق بصحة المعلومات التي يمتلكها (مصطفى)، وقد يؤدي الخطأ

إلى عواقب وخيمة، فلم يملك سوى التشاور مع تلميذه للوصول إلى حل نهائي.

راجح: من الواضح أن (شريف) وراء كل الأدلة ولعدم ثقتي به فأنا غير واثق بمدى صحة ما يقال، لذلك أعدك يا بني إذا لم تكن هذه المعلومات صحيحة لن تطأ قدماك هذا المكان مجددًا، هل أقوم بالاتصال بـ(عماد) وإحضار الجميع أم لا؟

كانت المفاجأة صادمة لـ(سليم) فلم يوجه له هذا التحذير قط بتلك الكلمات الحادة ، مما أدخل بعض الخوف إلى قلبه، لتزحف الشكوك إلى عقله، فتبدأ بعض الأسئلة في النضوج أمامه، لماذا يضع ثقته في شخص قابله منذ ساعات قليلة؟ لماذا يهتم بأمر هذا الشاب الذي قد يقضي على مستقبله للأبد؟ هل يبحث عقله عن حل القضية أم يبحث ضميره عن الخلاص من ذنبه القديم؟ هل ما يهم الآن هو تصحيح أخطاء الماضي أم الاهتمام بالمستقبل؟ لم يجد (سليم) أي إجابة لكنه وجد الكلمات المناسبة للإجابة على سيادة العميد.

سليم: سيدي، ابدأ الاتصال لإحضار الجميع.

❦ ❦ ❦



الاجتماع الأخير

على الرغم من الصمت والهدوء الذي يعم في غرفة الاجتماعات الملحقة بمكتب سيادة العميد (راجح)، إلا أن الملل هو المتحدث الوحيد في المكان مع القليل من التوتر والقلق من قبل المحامي (عماد) مع موكليه (هند) و(سامي) غير المتوقفين عن إلقاء نظرات الكراهية لوجه (سليم) الذي لم يهتم بكل الانتقادات التي ظهرت على وجوه الحاضرين، وذلك نظرًا لانشغاله بعلامات التوتر الظاهرة على وجه (راجح) لمجرد شعوره بالفشل وخيبة الأمل من (سليم) الجالس بجانبه في خجل من حضور الجميع دون وجود السبب، أما السبب فلم يظهر ولم يأتِ دون سبب واضح، لم يشعر (راجح) بالخوف على كلا من (مصطفى) و(شريف)، لم يفكر باحتمالية حدوث خطأ ما أدى إلى تأخرهم عن موعد الاجتماع، خاصة بعد وصول سيارة الشرطة التي كانت متواجدة في مسرح الجريمة، لم يهتم بمعرفة سبب تواجد (معتز) الواقف

بجانبهم داخل الغرفة، فقط المظهر القوي الخاص بعميد إدارة المباحث هو الأهم، خاصة أمام محام سيئ السمعة قد يقوم بإبلاغ الصحافة عن مدى فشل الداخلية في حل جريمة قتل. أما (بكر) المبتسم الوجه بصفه دائمة فلم يتأثر بكل الأفكار والمشاعر السلبية المشعة داخل غرفة الاجتماعات.

عماد: ألا ترى أنه كان في الإمكان معرفة معلوماتك الخطيرة في الصباح يا سيادة العميد؟

لم ينتصر التوتر على قوة (راجح) ليجيب بمنتهى الثقة والقوة أن المباحث لا تفرق بين الليل والنهار في عملها غير الاعتيادي، فكل لحظة مهمة للاقتراب من الجاني الحقيقي، موضحًا أن العامل المشترك من تواجد الجميع في تلك الغرفة هو معرفة القاتل، فما كان لـ(عماد) سوى تأييد كل كلمة قالها سيادة العميد.

هند: كل الحق معك يا سيادة العميد.

عماد: إذن؟ فلتتفضل سيادتك بإخبارنا معلوماتك القيمة؟

راجح: ماذا؟ أجل، سنبدأ على الفور.

أدرك (راجح) أن غروره قد تسبب في خلق ورطة لا خلاص منها، الأمر الذي جعله يهمس في إذن (سليم) بمنتهى الغضب والكراهية فيلقي الأمر لـ(سليم) بإحضار (شريف) خلال

دقائق بكل السبل الممكنة، لكن (سليم) كان مقيد اليدين، حيث أنه حاول عدة مرات الاتصال بـ(مصطفى) لكن دون إجابة، فما كان لـ(سليم) سوى إطاعة الأمر، فينهض من على كرسيه محاولاً الاتصال بـ(مصطفى) للمرة الحادية عشرة أثناء توجهه إلى باب غرفة الاجتماعات، لتنتهي المأساة أخيرًا وتظهر الراحة على وجه (راجح)، فيتطاير التوتر ليصيب (هند) و(سامي)، بمجرد دخول (مصطفى) و(شريف) إلى الغرفة يمسك (سليم) ذراع (مصطفى) ليلقي الغضب عليه، هامسًا في أذنه، محاولاً معرفة سبب التأخر، لتكون إجابة (مصطفى) هادئة وصادمة وغامضة في الوقت ذاته.

مصطفى: طلب (شريف) أن ننتظر بالخارج لبعض الوقت.

لم يهتم (شريف) بأي شخص جالس بالغرفة، ليتوجه إلى هدفه الأساسي، جهاز العرض، ليبدأ بإخراج اللاب توب خاصته ليقم بتوصيله بجهاز العرض لمشاهدة الجريمة بحجم أكبر وشكل أوضح. يتوجه (سليم) إلى (راجح) معللاً أن عطل السيارة هو سبب تأخر (مصطفى).

راجح: هذا هو حظي السعيد، هل أنت على ثقة مما أخبرتني به؟

مصطفى: بالتأكيد... (شريف) على ثقة من ذلك.

راجح: هل هذه مؤامرة بإصابتي بالجنون للتخلص مني؟

لم تهدأ حدة صوت (راجح) فقط، بل أصابته الدهشة والذهول بعد أن همس (مصطفى) في أذنه ببعض الكلمات التي لم يسمعها سوى (راجح) فقط، فقد جعله الذهول أصمَّ للحظات، لم يستمع لأسئلة (عماد)، لم ينتبه لـ(معتز) الذي غالبه النعاس أثناء وقوفه بالخلف، لم ينظر إلى كاميرات المراقبة التي ظهرت على شاشة العرض من قبل (شريف)، حتى أنه لم يستطع إخبار (سليم) بما قاله (مصطفى).

عماد: هل من مشكلة يا سيادة العميد؟

راجح: ماذا؟ لا مشكلة على الإطلاق...(مصطفى)، استعد.

يستعد (مصطفى) طبقًا للأوامر، لكنه لم يجلس مع الباقين، ليكتفي بالوقوف خلفهم بالتحديد خلف المحامي وموكليه وصديق العائلة، فتتجه أنظار الجميع إلى شاشة العرض و(شريف) الواقف بجانب الشاشة، لم يكن الذهول الذي أصاب الجميع بسبب ترك (شريف) موقعه متجهًا نحو (بكر) لمصافحته والتعبير عن إعجابه بكتابات الكاتب الشاب (أحمد أبو بكر)، إنما سبب الذهول هو وضع (شريف) يده على وجه (بكر) بشكل غريب ودون سبب، حتى أن لسان (بكر) تجمد، فيمتنع عن معرفة سبب هذا التلامس العجيب.

شريف: أنت غير متعرق أستاذ بكر.

بكر: بالطبع يا سيدي فلا يتعرق أحد في فصل الشتاء.

شريف: مضبوط.

رغم عودة (شريف) إلى موقعه بجانب شاشة العرض مجددًا وجلوس (بكر) إلا أن هذا السلوك الغامض أثار غضب (عماد) الذي شعر أن تواجده في هذا الوقت المتأخر داخل إدارة المباحث مجرد إضاعة للوقت وأسلوب غير متحضر من سيادة العميد للسخرية من قامته القانونية، فيطلب (عماد) من (راجح) إنهاء هذه المسرحية الهزلية، على عكس (سليم) الذي شعر بالسعادة العارمة فور سماع قرار (راجح) بأن الشخص الذي سيقوم بالشرح الكامل للجريمة هو (شريف) الذي تم تعريفه كمحلل وأحد الخبراء الذين يتم استشارتهم في حل بعض القضايا الشائكة.

لم تكن الفرصة سانحة لـ(عماد) على الاعتراض، حيث سبقته موافقة (هند) على قرار سيادة العميد، لينظر الجميع في اتجاه (شريف) منتظرين سماع ما سيتم سرده، إلا أن (شريف) اكتفى بالوقوف دون كلام.

راجح: هل من الممكن البدء ؟

شريف: لا.

راجح: سأصاب بالجلطة بسببه يا سليم، افعل شيئًا.

سليم: ما الأمر يا شريف؟ لما لا تبدأ؟

شريف: لم تأتِ سمر.

راجح: اقتربت الجلطة يا سليم.

يحاول (سليم) إقناع (شريف) بالبدء لحين وصول (سمر) لكن يلتزم (شريف) الصمت لتعم فوضى الاعتراضات في الغرفة بالإضافة إلى بعض المناقشات الجانبية الساخرة بين (سامي) الذي يؤكد لـ(هند) وجود عطل فني داخل عقل (شريف) يمنعه من التفاعل مع من حوله، فتبتسم (هند) قليلًا رغم الوقت العصيب التي تمر به، إلا أن (بكر) كان دائم النظر إلى من حوله بابتسامته المرسومة بشكل دائم على وجهه، لكن رغم الضوضاء المنتشرة داخل الغرفة فإنها لم تستطع إيقاظ (معتز) النائم أثناء وقوفه.

تنتهي المهزلة أخيرًا فور دخول (سمر) من باب غرفة الاجتماعات، معتذرة عن التأخير بسبب الزحام المروري، لتجلس مكانها بجوار (سليم) ناظرة إلى (راجح) الذي كاد أن يفارق الحياة غيظًا من هدوء (شريف) البارد، ليطلب (سليم) مرة أخيرة من (شريف) البدء للانتهاء من هذه القضية.

شريف: قبل البدء، هل من أحد من الحاضرين ذهب إلى المكتبة خلال هذا الأسبوع قبل حفل التوقيع؟

رغم الإجابات الصادقة إلا أنها صادمة، فقد زادت عدد المشتبهين في الجريمة، حيث أجابت (هند) بمنتهى الصدق أنها كانت متواجدة في المكتبة قبل الحفل بثلاثة أيام للتنسيق مع الإدارة لإقامة الحفل، لكنها كانت نصف الحقيقة، حيث أنها لم يكن ذلك هدف (هند) الوحيد من زيارة المكتبة، حيث أوضحت الكاميرات بأنها دخلت استراحة الكافيتريا بعيدًا عن الكاميرات لكنها لم تكن بمفردها، ليدخل معها شخص مجهول الهوية ووفقًا لكاميرات المراقبة المتواجدة خارج الكافيتريا تبين أن هذا الموعد المريب استمر أكثر من نصف ساعة، كما تبين أنها قد غادرت المكتبة مع نفس الشخص.

راجح: التزامك الصمت يا هند يثير الشبهات، من الأفضل الاعتراف.

كل الأعين ناظرة إلى (هند) منتظرة سماع الاعتراف القادر على إنهاء القضية تمامًا، ليضاف صمتها على كفة الميزان المليء بالأدلة التي تجعلها المتهمة الأولى في الجريمة. لم ينتظر (بكر) سماع أي تفسير من (هند)، ليعترف بتواجده بالمكتبة قبل حفل التوقيع بيوم واحد، وذلك بناءً على طلب (نادر شوقي) شخصيًا.

بكر: جرت العادة أن أقوم بقراءة أي رواية يصل صداها إلى آذان الأستاذ فأقوم بتقييمها له حتى لا يهدر وقته الثمين في قراءة تفاهات، فذهبت لقراءة رواية (الأوليمبوس) للكاتب

(يحيى عبد القادر).

كانت إجابة (بكر) هي الصادقة حتى ذلك الوقت، لتظهر الكاميرات جميع تحركات (بكر) في ذلك اليوم، بدءًا من التقاطه لرواية (الأوليمبوس) من على الأرفف، صعودًا إلى الطابق العلوي لتفحص بعض الكتب الإنجليزية ثم دخوله إلى الاستراحة لبعض الوقت، حتى التقاطه لبعض الصور مع المعجبين بكتاباته الذين قاموا بتفحص الرواية الموجودة بيده ظانين بأنها إحدى رواياته الجديدة، فتظهر ضحكاته في الكاميرات مع المعجبين أثناء توقيعاته لهم. أكد (بكر) هذه المعلومات بعد رؤيته للفيديوهات المجمعة له مع الشرح الدقيق من (شريف) عما حدث كأنه كان متواجدًا مع (بكر) داخل المكتبة.

شريف: جلست في استراحة المكتبة أقل من نصف ساعة، انتهيت من قراءة الرواية في وقت قصير، كيف؟

تقاسم كل من (هند) و(بكر) نظرات الشك من قبل الحاضرين، خاصة بعد صمته للحظات مكتفيًا بابتسامته المعهودة. لم ينتظر (شريف) الإجابة لينتهي بالمشتبه الأخير (سامي) الذي فضل الصمت رغم وجوده بالمكتبة قبل حفل التوقيع بساعات قليلة، لكن ليس لغرض القراءة، فقد أوضحت الكاميرات بملاحظة (شريف) القوية هو وقوف (سامي) أمام حمام المكتبة لبعض الوقت، ليدخل فور خروج شاب من

الحمام، وقبل دخول (سامي) بلحظات يعطي هذا الشاب المجهول بعض النقود ثم يدخل الحمام سريعًا، فلا يتعدى وقت وجوده داخل الحمام سوى دقيقة لا أكثر، ليغادر بعد ذلك المكتبة.

هند: لقد تذكرت شيئًا، لقد أرسلت (سامي) إلى محل الحلوى القريب من المكتبة قبل الحفل بعدة ساعات لشراء الحلوى الخاصة بوالدي، أيعقل أنه من وضع السم بالحلوى؟

تبدأ كل الشكوك تتجه نحو (سامي) الذي أصابته حالة غضب عارمة فينهض من على كرسيه لكن يمنعه (مصطفى) الواقف خلفه من الحركة، فيهدأ قليلًا ويجلس صامتًا للحظات حتى يختار كلماته بكل حذر، فهو الآن المتهم الرئيسي في قتل (نادر) خاصة بعد ملاحظة (شريف) التي أوضحت أن (سامي) هو أقرب رفيق لـ(نادر) فلا يمكن لأحد الاقتراب من الضحية سواه. الحقيقة هي الحل الوحيد.

سامي: كنت مضطرًا إلى الذهاب إلى محل الحلوى، فقمت بالاتصال برفيقي لمقابلتي في المكتبة، ليأتي لي بالهيروين، نعم أنا أتعاطى المخدرات، لكن ليس بقاتل، بالفعل ذهبت إلى محل الحلوى لدفع المال لكنها هي من قامت باستلام الحلوى، هل ستخبرينهم بعشيقك أم أخبرهم أنا؟

يحاول (بكر) التدخل لمنع (سامي) من إفصاح سر (هند) لكنه أضعف من أن يصارع هذا الضخم، فيتدخل

(راجح) بصوته القوي لإنهاء هذه المهزلة في لحظة واحدة، ليعم الهدوء مرة أخرى في المكان.

هند: إنه الرجل الذي أحبه ووالدي رفض زواجنا لحالته المادية، فما كان لي سوى مقابلته سرًا.

ازداد الأمر تعقيدًا بالنسبة لـ(راجح) خاصة بعد خروج الأسرار إلى السطح، حيث يمكن أن يكون أحدهما هو القاتل أو كلاهما معًا، لم تستطع عقلية (راجح) الذكية حل اللغز خاصة بعد يوم طويل وشاق في العمل.

راجح: شريف، في إيجاز شديد هل من الممكن إخبارنا من القاتل؟

شريف: لا.

راجح: رحماك يا الله، أكاد أشم رائحة الجلطة.

سليم: اهدأ يا سيدي. لما لا تريد إخبارنا يا (شريف)؟

شريف: لا أستطيع الشرح بإيجاز.

فما كان لسيادة العميد الذي قد ضاق صدره أن يصبر وينتظر ويسمع شرح (شريف) للنهاية، فيستكمل (شريف) تحليله المنظم بسؤال (سمر) عن نتيجة تحليل عينة قطعة الحلوى.

سمر: لم تظهر النتيجة بعد، لكن أعتقد أنها ستكون غير واضحة.

سليم: ماذا تعني؟

سمر: من الممكن أن السم تم وضعه على قطعة الحلوى كاملة، ومن الممكن على قطعة صغيرة بها تم التهامها، وبذلك من المستحيل معرفة الـ...

شريف: الشخص الموجود بالفيديو هو عم (صبري) عامل النظافة بالمكتبة، في الستين من عمره، مصاب ببعض الأمراض مثل آلام في العمود الفقري وهشاشة العظام.

راجح: وما علاقة هذا الشخص بقضيتنا؟

شريف: لم يحضر عم (صبري) اليوم للعمل.

راجح: الصبر يا رب... يا بني ماذا تريد...

شريف: فلتخبرهم يا (معتز) عما أخبرتني به.

معتز: أعتذر يا سيادة الرائد، يوجد شيء بسيط لم أخبرك به، عندما طلب الأستاذ (نادر) الكتابين أحضرتهم من الطابق الأرضي، وأثناء صعودي بالكتب على سلم المكتبة قام أحد الزائرين بالارتطام بي فأوقع الكتابين، فقمت بالتقاطهما، لأعطيهما إلى الأستاذ (نادر)، هذا كل ما حدث.

شريف: غير صحيح، هذا ليس كل ما حدث.

يستعرض (شريف) رواية (معتز) وما حدث بالتفصيل من خلال كاميرات الفيديو، بالتحديد بداية من لحظة صعود (نادر) على الدرج ممسكًا الكتابين ليصطدم يقوم (شريف) بعرض الفيديو الذي يعرض لحظة اصطدام (معتز) برجل كثيف الشعر ذي لحية يرتدي عوينات، سمين، مصاب بكسر في ذراعه الأيمن، واضع ذراعه في الحمالة الخاص لرفع الذراع ذات اللون الأزرقً، مرتد قميصًا أسود. عند ارتطام الرجل الغامض بـ(معتز) سقط الكتابان فقام الرجل الغامض بأخذ الكتب من على الأرض وإعطائها لـ(معتز).

شريف: كما رأيتم، قام هذا الرجل الغامض بأخذ الكتابين من على الأرض لإعطائهما إلى (معتز).

راجح: هل للأمر علاقة ب...

شريف: الكتاب الأول هو للجاسوسية فنون للدكتور (نبيل فاروق)، أما الثاني هو رواية الأوليمبوس للكاتب (يحيى عبد القادر)، هل هذه الكتب التي أخبرك بها يا أستاذ (بكر)؟

بكر: بالطبع هي بالتأكيد.

يتوقف (شريف) عن الكلام بعد اعتراض (عماد) متسائلًا عن السبب الحقيقي لهذا الاجتماع، فما يجده حتى الآن مجرد

ترهات لا علاقة لها بالجريمة، وما هي سوى إضاعة الوقت مع محاولة غير لائقة للتشهير بموكليه. لم يستطع (راجح) إيقاف غضب (عماد) لأنه يجد كلام المحامي منطقيًا نوعًا ما، حيث لم يجد أي معلومة قوية ومفيدة منذ بدء تحليل (شريف) المشوق، لكن في الوقت ذاته يجد (راجح) نفسه متورطًا لكونه السبب الرئيسي في إقامة هذا الاجتماع، ليهمس سيادة العميد إلى (سليم) باحتواء الموقف وإيجاد أي حيلة مناسبة لإنهاء هذا الاجتماع في أسرع وقت دون أي خسائر. رغم كل هذه المناقشات الجانبية التي على أتم الاستعداد لشن حرب بين الفريقين، لم يهتم (شريف) بما يسمعه حوله، ليبدأ باستعراض فيديو جديد التقطته الكاميرات للرجل الغامض أثناء تواجده بالطابق الأرض وبالتحديد أمام أحد الأرفف ليعيد رواية الأوليمبوس الموجودة بيده إلى مكانها الأصلي.

لكن هذه المرة يرى (سليم) ما يراه (شريف) ولم يدركه الحاضرين، فينهض (سليم) من على مقعده، مقتربًا من شاشة العرض، فيطلب من (شريف) إعادة هذا المقطع مرة أخرى للتأكد من صحة ما شاهده. فور انتهاء هذا المقطع يطلب مشاهدة لحظة اصطدام هذا الغامض بـ(معتز)، يعم الصمت بالغرفة ليتشوق الجميع لمعرفة ما يجول في رأس (سليم) منتظرين معرفة ما هو الاكتشاف الخطير الذي اكتشفه.

سليم: شيء عجيب يا سيدي، في لحظة ارتطام هذا الشخص بـ(معتز) بالطابق العلوي لم يكن بحوزته أي كتاب، فكيف أصبح بيده كتاب في الطابق الأرضي ليعيده إلى مكانه.

راجح: شيء عجيب فعلًا.

لم ينظر (شريف) إلى بالاهتمام، لم يهتم باهتمامهم، حيث كان عقله مهتمًا بشيء واحد فقط، ألا وهو عرض الحقيقة بكافة تفاصيلها على الجميع، فيستكمل تحليله بعرض فيديو لهذا الشخص بنفس الملابس أثناء تواجده في المكتبة قبل يوم حفل التوقيع بيوم واحد فقط، لكن تواجد الغامض هذه المرة بهدف شراء رواية (الأوليمبوس) ثم الإسراع في الخروج من المكتبة.

يتذكر (سليم) تواجد (بكر) في المكتبة في ذات اليوم والتوقيت، ليسأله الرائد إذا كان قد رأى هذا الشخص الغامض أثناء تواجده بالمكتبة. استغرق (بكر) بعض الوقت للإجابة على السؤال، ليجيب (شريف) نيابة عنه، حيث غادر (بكر) المكتبة في تمام الرابعة وخمسة دقائق، بينما وصل هذا الغامض إلى المكتبة في تمام الساعة الرابعة والنصف.

راجح: بدأت تتحدث مثل (شريف) أيها الرائد، هل من الممكن معرفة علاقة هذا الشخص بالجريمة؟

سليم: لقد قام هذا الشخص بشراء الرواية قبل يوم الجريمة، ثم قام بإخفائها داخل حمالة الذراع خاصته، ثم قام بإبدال نسخته مع النسخة التي كان يحملها (معتز) في لحظة الاصطدام بينهما.

راجح: وما الهدف من ذلك؟ ولما هذا المجهود الشاق لاستبدال الروايتين.

شريف: بسبب العادة.





العادة

مع بداية الوصول لأهم نقطة مفيدة لجميع الحاضرين داخل الاجتماع إلا أنه توقف فجأة، حيث دقت الساعة التاسعة ليحين موعد عشاء (شريف)، ليجلس (شريف) أمام الحاضرين يخرج علبة الشطائر من حقيبته، ليبدأ تناولها في هدوء وتركيز تام، بينما يجلس الجميع في حالة غضب من نظام (شريف) الغذائي، أما بالنسبة لـ(سمر) فقد أحضرت الجهاز من سيارتها لقياس ضغط الدم الخاص بـ(راجح).

بدأ الجميع في الانتباه والاستعداد لتلقي المعلومات المهمة فور إنهاء (شريف) عشاءه، لينهض (شريف) من على مقعده واقفًا أمام الجميع، مغمضًا عينيه للحظات، مع أخذ نفس عميق، ليفتح عينيه.

شريف: القاتل اشترى الكتاب، ذهب إلى البيت، قام بخلط مادتي الديجوكسين وإيرجوتامين وإذابتهما في الماء لتكوين مادة سامة، استخدم فرشاة رسم صغيرة الحجم، ثم قام دهان الجزء العلوي للصفحات الزوجية بالمادة السامة، ثم ترك المادة تجف، ولأنه على علم بعادة (نادر شوقي) وهى أن يستخدم لسانه ليبلل إصبع السبابة ليقلب صفحات الكتاب، بما أن المادة السامة ليس لها طعم أو رائحة، النتيجة أن (نادر شوقي) كان يضع السمَّ على لسانه في كل مرة يقلب فيها الصفحات، مكونات المادة تعمل على اضطراب ضربات القلب، لكن تفاعل المادة مع الأنسولين في الدم نتيجته مميتة، استخدم القاتل الضحية لإتمام جريمته.

لم يهتم (شريف) كعادته بمدى الذهول المنحوت على وجوه الحاضرين، ليخرج من حقيبته رواية (الأوليمبوس) الموضوعة في حقيبة شفافة ليعطيها إلى (سمر) لتأكيد نظريته.

مصطفى: أخبرتك يا سيدي أننا وجدنا بالفعل سلاح الجريمة.

سليم: إذن بالتأكيد بصمات القاتل متواجدة على هذا الكتاب.

سمر: بالتأكيد سنجد المئات من البصمات، لا تنسى أنه كتاب في مكتبة عامة.

راجح: لكننا سنجد بصمات لأحد المشتبهين أو المجرمين في جرائم القتل.

هند: خبرة والدي في كتابة الروايات البوليسية لها تاريخ، لكنه ليس له علاقة بالمجرمين، ولا أحد غيري على علم بمرض والدي، ما عدا (سامي) .

سامي: لماذا تصرين على اتهامي بجريمة لم...

شريف: بصمات (سامي) غير متواجدة على الكتاب، لم يدخل استراحة المكتبة وبالتالي لم تلمس أصابعه الكتاب.

تزداد الحدة بين (هند) و(سامي) لإصرارها بأنه الوحيد الذي على علم بحقنة الأنسولين، ليتهمها (سامي) بقتل والدها بسبب عدم موافقته على زواجها، لينهض (سليم) من على كرسيه هذه المرة ليأمرهما بالصمت، لم يكتف بذلك الأمر بل طلب من الجميع الصمت للحظات لإيجاد السؤال المناسب للحصول على الإجابة الصحيحة للخروج من المتاهة.

سليم: هل ظهر القاتل في أي كاميرا أخرى؟

شريف: لقد ظهر القاتل في كاميرا أخرى.

يبدأ (شريف) في عرض الكاميرا الخاصة بالبوابة الخارجية للمكتبة التي يظهر فيها القاتل هاربًا من المكتبة منطلقًا في الشارع الجانبي للمكتبة ليختفي للأبد. تتدفق الأفكار في عقل (سليم) ليطلقها في أرجاء المكان، ليبدأ إصدار الأمر لـ(مصطفى) بتوزيع أوصاف القاتل بشكل تفصيلي على جميع أقسام الشرطة وإدارات السجون حتى المستشفيات، كما يأمر (سمر) الإسراع في تحليل البصمات مهما كان عددها حيث سيقوم بنفسه في البحث عن هوية صاحب كل بصمة على الكتاب، لم يتوقف عن إطلاق الأوامر دون أي مجاملات، حيث يأمر (هند) بحضور جميع العاملين بدرًا النشر للتحقيق معهم جميعًا، أما القرار بالتحقيق مع (سامي) لم يواجه أي اعتراض، لكن الاعتراض الوحيد كان من (سمر) التي لاحظت شيئًا غريبًا على وجه (شريف) الذي كانت عينيه تراقب شاشة العرض وبالتحديد الكاميرا الخارجية التي أظهرت اختفاء القاتل، لكنه لم يعد مشهد خروج القاتل، بل استكمل مشاهدة ما سيحدث في اللحظات القادمة، فيتوقف (سليم) عن قراراته ليقف بجانب (شريف) متسائلًا عن سبب استكماله لمشاهدة هذا الشريط رغم هروب القاتل؟

شريف: منتظر.

سليم: ماذا تنتظر؟

شريف: عودته مرة أخرى، يحب أن يتأكد من نجاح الخطة رقم واحد.

سليم: أتعني القاتل؟ هل أنت متأكد؟

شريف: ذهب لإزالة الشعر والذقن المستعارة، بالإضافة لحمالة الذراع اليمنى، سيظهر بدون العوينات وخلع المعطف المتواجد تحت قميصه الذي أظهره بدينًا بعض الشيء.

يبدأ الجميع في مشاهدة الفيديو في تركيز منتظرين ظهور القاتل مرة أخرى، متلهفين لمعرفة هويته وفي نفس الوقت منتظرين التأكد بمدى عبقرية (شريف) الذي أثبت أنه يملك داخل عقله قوى خارقة لم يمتلكها أحد قط. لكن المفاجأة كان الأقوى على الإطلاق، إن القاتل هو الشخص الوحيد البريء في هذه الجريمة، أو على الأقل هذا ما يؤمن به الجميع. أصبح الصمت تاج الغرفة، فيحاول الجميع تحليل كلام (شريف) محاولين إيجاد أي خطأ في تحليله للجريمة، أو الاستعانة بحالته المرضية لإثبات أنه مريض ببعض حالات التوهم.

يطلب الجميع إعادة مشهد ظهور القاتل مرة أخرى للتأكد من هويته، أو للتأكد من مدى صحة ما وجدوه من

آلام الحقيقة، حيث يظهر في هذا المشهد (بكر) ماسحًا لعرقه المنهمر وهو قادم من الشارع الجاني المجاور للمكتبة وبالتحديد من نفس النقطة التي هرب منها القاتل، فبمجرد انتهاء هذا المشهد ينظر الجميع إلى (بكر) ذي الوجه البريء والابتسامة الطيبة للإنصات بحرص شديد إلى دفاعه وهم على ثقة بأنهم سيصدقون أي مبرر أو حتى كذبة تخرج من ذو الوجه الملائكي.

سليم: ما هو قولك يا سيد (بكر)؟ أعتقد أننا سنجد بصماتك على الكتاب.

بكر: لطفًا يا سيدي، بالتأكيد ستجد بصماتي على الكتاب، فقد أخبرتك بأنني قد قرأت الرواية بالفعل لكن لم أقم بشرائها بالإضافة إلى...

يقاطع (شريف) دفاع (بكر) ليكمل الخدعة الكبرى، بأن بصمات (بكر) ستكون متواجدة على الكتاب بالإضافة إلى المعجبين الذين ظنوا بأنها روايته، وكان (بكر) حذرًا للغاية، حيث أنه أصر بشكل غير مباشر بأن يحمل الجميع هذه الرواية أثناء توقيعه للمعجبين أو حتى التقاط أي صور معهم، وبعد الانتهاء من جزء الأول من الخطة أعاد الكتاب إلى الرف المخصص له مع باقي النسخ، لكنه كان في غاية الحرص،

حيث وضع النسخة المقصودة في الصف الثاني من النسخ، حتى لا يقوم أحد بشرائها في الفترة التي سيخرج (بكر) من المكتبة ليعود مرة أخرى بهيئة القاتل الغامض ليأخذ النسخة، ثم يعود لمنزله لاستكمال خطته ليصبح الكتاب مسمومًا، فتنتهي الخطة يوم حفل التوقيع، لحظة اصطدامه ب(معتز) واستبدال النسخ، وللتأكد من نجاح خطته وعدم الشك في التلميذ النجيب للأستاذ، خرج من المكتبة ليعود مرة أخرى بهيئته الطبيعية مسرعًا، متصببًا عرقًا من الملابس الثقيلة التي ارتداها لتظهر مدى بدانته.

بكر: لكن... أنا....

شريف: لا يتعرق أحد في فصل الشتاء.

بكر: سيدي منذ بداية الاجتماع أثبت هذا الشاب الذكي أن نظرياته لا مثيل لها، لكنها تفتقر الدليل القاطع.

شريف: يوجد دليل.

رغم انشغال (شريف) بتجهيز الدليل إلا أنه لاحظ علامات الخوف المستترة داخل وجه (بكر)، والتي ظهرت بشكل واضح فور البدء في مشاهدة الدليل الجديد، رغم مشاهدة الجميع لهذا المقطع من قبل، وهى لحظة اصطدام القاتل بـ(معتز)

لاستبدال الكتب، لكن الشيء الذي لم يلاحظه أحد سوى الفتى الذي يظن الجميع أنه أقل منهم نضجًا وذكاءً، وهى لحظة نزول القاتل على السلم في سرعة للهرب من فعلته، ليصطدم بعم (صبري) الذي يسقط على ظهره من أثر الاصطدام بينما يستعيد القاتل توازنه بعد أن ارتكز بيده اليسرى على الحائط الرخامي المتواجد بجانب الدرج، لينتهي المقطع بعد ذلك وتزداد علامات الخوف على وجه (بكر) والتي أصبحت ملحوظة للجميع.

شريف: لم يحضر عم (صبري) للعمل هذا الصبح بسبب هذه السقطة، النتيجة لم يقم أي شخص بمسح البصمات من على الدرج، النهاية.

ينتهي (شريف) من العرض والتحليل، ليبدأ بوضع اللاب توب خاصته إلى حقيبته في هدوء، وهو يلاحظ نظرات الرعب التي سيطرت على وجه (بكر) لكنه لم يهتم، ليحمل حقيبته على كتفه ليهم بالرحيل، لم يستمع لمحاولات (سليم) البوليسية للضغط على القاتل من أجل الحصول على الاعتراف، لكن لاحظ أنفاس (بكر) التي بدأت تتصاعد أكثر فأكثر، لتحين اللحظة التي شعر (شريف) فيها ببعض الخوف ليتراجع بضع الخطوات للخلف.

شريف: انتبهوا من خطة رقم أربعة.

سليم: ماذا تقصد؟

شريف: خطة رقم واحد وفاة نادر شوقي وفاة طبيعية، البديل خطة اثنان اتهام الابنة بوضع السم للضحية، البديل خطة ثلاثة الراجل المتنكر.

سمر: وما هي الخطة رقم أربعة...

ليتحول ذو الوجه الملائكي إلى إبليس، فينفجر الشر بداخل (بكر) لينهض مشهرًا مسدسه في وجه (هند) محاولاً قتلها ليأتي دور (مصطفى) والسبب الرئيسي لتواجده خلف (بكر) فينقض الضابط على القاتل فينجح في التقاط سلاحه بعد نجاحه في إسقاط القاتل أرضًا ليشهر (سليم) سلاحه في وجه (بكر).





السبب

من الطبيعي أن ينتهي التحقيق طبقًا للإجراءات الروتينية بحبس المتهم والانتهاء من بعض الأعمال الورقية لينتهي الأمر برحيل الشهود وأهل الضحية لمنازلهم طلبًا للراحة حامدين ربهم بانتهاء هذا اليوم العاصف.

لكن لم تكن الجريمة الروتينية أن تنتهي بالشكل الروتيني، حيث يجلس الجميع في مكتب سيادة العميد، حيث يترأسهم (راجح) واقفًا بجانبه (سليم) و(سمر)، ليجلس أمامه (هند) و(سامي) ومعهم المحامي في جهة، بينما يجلس في الجهة المقابلة لهم (بكر) المكبل بالأصفاد ومن خلفه أمين الشرطة بينما يقف (مصطفى) بجانب المتهم للتأكد من عدم تكرار الهجوم السابق، أما الشاب العبقري يقف بجانب الباب

مستعدًا للرحيل بعد انتهاء دوره، لكنه غير قادر على الرحيل إلا بإذن سيادة العميد شخصيًا الذي أصر على حضور الجميع.

راجح: بالطبع أنت على علم بنتيجة المعمل الجنائي، ولا مهرب من بصمتك في موقع الحادث. لم أجلس لسماع اعترافك، لكني أريد معرفة دافعك لقتل أستاذك والأب الروحي لك، مع العلم بأن دار النشر قامت بطباعة ونشر جميع رواياتك، هذا السؤال ليس خاصًا بك ولكنه لجميع الحاضرين...أريد إجابة حالًا.

سكتت الألسنة وتعاركت الأعين بين الحاضرين، حيث حاولت (هند) الهروب من الأسهم المسمومة المقذوفة من عين (بكر) الذي تحول وجهه البريء إلى قابض الأرواح، لتختبئ (سمر) خلف (سليم) خوفًا من نظراته وابتسامته السامة، أما (مصطفى) قد أمسك سلاحه خوفًا من هجوم المجرم لالتهام الجميع. لم تكن (هند) الوحيدة الهاربة من الحقيقة، فقد لاحظ توتر (سامي) و(عماد) من السؤال الذي امتنع الجميع عن إجاباته.

يصاب الجميع بحالة صادمة من الإجابة، البعض أصيب بالمفاجأة أمَّا البعض أصيب بالذعر والخوف من الإجابة الفاضحة، لكن الصادم بالنسبة لسيادة العميد هو الشخص الذي أجاب على السؤال بالإجابة الصحيحة، لم يكتفِ بالإجابة ليبدأ الشرح بالتفصيل.

شريف: طريقة كتابة الرواية وأسلوب السرد وترتيب الأحداث مختلف عن جميع كتابات (نادر شوقي)... أحمد أبو بكر كاتب سفاح العاصمة التي أصبحت من أنجح المسلسلات البوليسية.

لم يتعجب (سليم) من حل اللغز على أيدي (شريف)، فقد أصبح أمرًا طبيعيًا بالنسبة للجميع، إنما الحقيقة الصادمة هي التي أثارت انتباه الجميع والتي تأكدت صحتها من دموع (بكر) التي انهمرت على وجهه الغاضب.

بكر: ابتسامته الطيبة وروحه المرحة كانت القناع المثالي الذي غزله بمهارة وإتقان، تشجيعه المستمر لموهبتي ومساعدته في نشر أول رواية لي دون مقابل مادي زاد من إيماني بأنه فارس نبيل من زمن آخر، آمنت بأنه والدي الحقيقي، حتى

أصبح عقلي ضرير غير مدرك لحقيقته المظلمة. لم أدرك أن الظلم أطفأ نور الشمس، ليقوم الأديب الكبير بمسح نسختي الخاصة من على جهازي الخاص بعد سرقة نسخة من ملف رواية (سفاح العاصمة) ليقوم بنشرها باسمه، لم يكتفِ سكين الغدر بطعنة واحدة، ليوجهني (نادر شوقي) بابتسامة فخر وكبرياء، فأدركت سبب وجود (سامي) معه، أما (هند)، الفرع المثالي للشجرة الخبيثة، فقد عرضت مبلغًا كبيرًا من المال بالإضافة لنشر جميع رواياتي مقابل التنازل عن الرواية والتوقيع على ورقة مرسومة بدقة قانونية بأيدي (عماد) القذرة، فأصبحت ضمن عائلة مصاصي الأفكار، بمرور الوقت أدركت أنني لم أكن الضحية الأولى أو حتى الوحيدة، حيث كان الأديب الضخم دائم البحث عن المؤلفين صغار السن لسلب جميع أفكارهم، وأقوم أنا بمساعدته في تعديل الكلمات والشكل الأدبي للمسروقات.

في أحد الأيام قبل دخولي مكتب (نادر)، اختلست النظر لاكتشاف مرضه عندما حقنه (سامي) بالأنسولين، فأضاءت الفكرة عقلي الذي تعفن. قبل حفل التوقيع بيومين سألني الأستاذ عن رواية (الأوليمبوس) وعن كاتبها، فأدركت حينها

بأن هذا الصغير هو الضحية القادمة، لذا فقررت أن يكون كتاباته هي القاتلة. كم كنت أتمنى أن تكتشف جريمة القتل لاتهام (هند)، فهي من تستحق الموت أكثر من (نادر) ذاته.

كادت الكراهية الكامنة في قلب (بكر) أن تفترس (هند) ومن معها بقوة، اضطر (مصطفى) وأمين الشرطة للإمساك بالضحية القاتلة التي كادت أن تعصف بمن حولها، فيصدر سيادة العميد الأمر بأخذ المتهم إلى الحبس، ليهدأ (بكر) مستسلمًا إلى مصيره ،لينظر إلى (شريف) قبل خروجه من المكتب.

بكر: لقد درست كل خطوة في الجريمة بمنتهى الدقة، الشيء الوحيد الذي لم أدرسه هو أنت.

بعد خروج المتهم يأمر (راجح) أن يستكمل (مصطفى) الإجراءات مع أخذ أقوال (عماد) ومن معه للانتهاء من القضية، ليعترض (سليم) عن تولي من أقل منه رتبة إنهاء القضية، ليصاب الجميع بالذعر من صوت (راجح) الغاضب من اعتراض (سليم) الذي اعتبره سيادة العميد مجرد ضيف في هذه القضية لا أكثر، لينحني (سليم) خزيًا من الحقيقة

لكنه لم يندم على إظهار الحقيقة بواسطة غيره. ليخرج الجميع ومن خلفهم (شريف) الذي حان موعد نومه، لكن يتم منعه عن الرحيل مرة أخرى بأمر من (راجح)، ليظهر الوجه الآخر لسيادة العميد، ليشكر (شريف) على مجهوده في حل القضية، آمرًا (سليم) أن يقوم بتوصيل (شريف) إلى منزله، ليشعر (سليم) بالسعادة لشعوره بانتصار فكره في نهاية الأمر.

راجح: لا تظن أن وجهة نظري قد تغيرت، لم تتغير الأوامر كما اتفقنا.

سليم: أمرك سيدي.

يخرج (شريف) و(سليم) من المكتب لتلحق بهما (سمر) التي كانت تبحث عن إجابة.

سمر: لماذا كنت مصرًا على حضوري رغم أنك متيقن من عدم تواجد السم داخل قطعة الحلوى.

ليخرج (شريف) الإجابة من حقيبته، ويعيد السماعات إلى (سمر)، لتتفاجأ من هذا الأمر محاولة البحث عن أي إجابة أخرى، لكن لم تجد من (شريف) أي إجابات أخرى،

فتترك (سمر) السماعات له وهى مصابة بألم الصدمة ليظهر العبث على وجهها فترحل غاضبة، ليصاب (سليم) بنوبة من الضحك بسبب الطفلين المشاغبين أمامه.

سليم: ألم تكن لك علاقة بأي فتاة قبل؟ أو حتى الحديث مع فتاة؟

شريف: لقد تحدث مع فتاة منذ ثلاث ثوانٍ.

ينظر (شريف) بتعجب إلى (سليم) الذي لم يتوقف عن الضحك، بدءًا من القسم وصولًا لمنزل (شريف).

* * *


عصير الكتب للنشر والتوزيع

النهاية، بداية جديدة

تتوقف السيارة أمام منزل (شريف) فيخرج (سليم) من سيارات مع (شريف) ممتنًا لمجهود هذا الشاب لمساعدته في جريمة القتل وجريمة السرقة، ليطلب من (شريف) مساعدته في القضايا القادمة في سرية تامّة. كالعادة لم يتلقَ (سليم) أي إجابات أو موافقات أو وعود، لينصرف (شريف) كعادته دون التفوه بكلمة واحدة، لكن الشيء الذي تعجب منه الضابط هو توقف (شريف) المفاجئ قبل عبور بوابة العمارة ليعود (شريف) مرة أخرى إلى (سليم).

شريف: أنت شخص لطيف لماذا؟

سليم: ماذا تعني؟

شريف: أنت شخص لطيف... ضابط الشرطة ليس شخصًا لطيفًا.

سليم: هل من الضرورة أن أكون شريرًا؟

شريف: (ماجد المصري) كان ضابطًا شريرًا، قام بقتل (آدم) في نهاية المسلسل.

لم يتوقف (سليم) عن الضحك من كلمات (شريف) التلقائية والتي تنبع من شخص طيب القلب، لكن لاحظ (سليم) حاجة (شريف) الملحة لمعرفة الإجابة عن هذا السؤال، لذا قرر (سليم) إفشاء السر ونبش الذكريات الذي حاول مرارًا أن يتناساها دون أي نتيجة.

سليم: كان لي ابن جميل مصاب بمرض...

شريف: التوحد.

سليم: بالضبط.. لم يكن العلاج يجدي نفعه، كانت السيطرة عليه مستحيلة، لم أستطع اللعب معه، في كل مرة أظهر أمامه كان يصرخ دون توقف، لم أجد حبَّ الابن لوالده، لم أشعر قط بأنّي أب، كنت أشعر بالفشل بمجرد رؤيته أمامي لذا قررت أن أتركه في دار رعاية لكني واجهت رفض والدته.

في أحد الأيام وجدت هذا الطفل يلعب بأوراق قضية مهمة، لم أتوقف عن الصراخ والغضب في وجهه حتى دخلت إلى غرفتي لأفرغ باقي الغضب في وجه زوجتي لعدة دقائق. فوجئت بطرق باب الشقة ليخبرني حارس العقار بأن ابني قد قفز من النافذة... مات... لم أشعر قط بأن الأبَّ لكني شعرت بآلام الأبوة، أدركت أن كراهيتي له دفعته إلى الانتحار، كنت

أتمنى أن يحبني.

لم تستطع قدماه أن تحمله، ليسقط (سليم) على ركبتيه من كثرة البكاء كالأطفال، فلم يبكِ (سليم) منذ وفاة ابنه منذ سنتين، لكن الجرح القديم ضاقَ صبرًا لينفجر في البكاء دون توقف. ربما لم يشعر وجه (شريف) المبتسم دائمًا بالحزن الذي أصاب صديقه الجديد، لكن قلبه يدرك الإحساس بفقدان شخص قريب لقلبه.

شريف: طائرة ورقية.

سليم: ماذا؟

شريف: لم يقفز من النافذة، قام بصنع طائرة ورقية قد طارت بعيدًا فحاول الإمساك بها لأنه كان على علم بأنها أوراقك الخاصة... لم يكن يصرخ غضبًا لرؤيتك، بل كان يصرخ محاولاً أن يكون مثلك لأنه كان يحبك... التوحد ليس بمرض الجنون إنما مجرد عطل بسيط في التعبير عن مشاعرنا.

سليم: هل تعني أنه كان يحبني؟

شريف: أنت لست مثل (ماجد المصري).

يكتفي (شريف) بترك ابتسامة مصاحبة لدموع وجه (سليم)، ليدخل في صدره شمعة الإحساس بالأبوة والحب من جديد، بعد إدراكه بحقيقة شعور ابنه الذي رحل عنه، ليرحل

(شريف) متجها إلى منزله.

رغم رؤية (شريف) الثاقبة وملاحظته لكل شخص حوله، لكنه لم يرَ الشخص الواقف بعيدًا المراقب لـ(شريف) و(سليم) في صمت مكتفيًا بالتدخين بيده صاحبة الوشم المرسوم على شكل ثلاثة نجوم.





